بسم الله الرحمن الرحيم

محاورة مع الملاحدة

حول

الجهاد والجزية والعبوديّة والحرّيّة

حيدر مهدى باقر القرشي

هويّة الكتاب :

اسم الكتاب : ...... **محاورة مع الملاحدة حول الجهاد والجزية والعبوديّة والحرّيّة**

تأليف : .... **حيدر مهدى باقر القرشي**

المطبعة : .... **دار البذرة**

الطبعة الأولى : **١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م**

عدد النسخ : .... **٥٠٠ نسخة**

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

(١)

السؤال المطروح في الأوساط العلميّة لماذا انتشر الإلحاد في بلدانـنا العربيّة ؟ أهو مبالغة يضخمها الإعلام ولا واقع له ؟ أو هو حالة عصبيّة أصابت بعض الشباب استنكاراً للفساد والإفساد المتفشي في الطبقة الحاكمة وغيرها من مفاصل الحياة ؟

لا جدال بوجود جدليّة الإلحاد وظهور هذه العشبة الضارّة في أوساط شبابنا أصفها بالعشبة الضارّة لأنّها تضيع طاقات الشباب هدراً وليس باستطاعتها تقديم حلولاً حسنة لوضعنا المأساوي .

فهل الإلحاد يستطيع انتشال المجتمع من الإنحدار أكثر ممّا هو عليه نحو الهاوية ؟

بالتأكيد رفض العقائد الباطلة التي يبني عليها المجتمع حياته وتتكوّن منهجيّة الإنسان على أساس تلك العقائد الباطلة التي فيها ضرر ، كبير ومن

عوامل التخلّف وأسباب الرجعيّة التنكّر لتلك العقائد الباطلة يسوق الإنسان نحو السعادة والتوحيد والإيمان بالله تعالى هو طوق النجاة الذي يخلّص الناس من مشاكلهم العسيرة في عصرنا الحالي ، ويجب أن نعرف ما هو التوحيد ؟ وما هو الإيمان الذي به الخلاص من الكرب والشدّة التي نعاني منها والّا فأغلبيّة الناس في الشرق الأوسط مسلمون ويؤمنون بالله تعالى فما الشيء الناقص هنا ؟

نعرف الإجابة بالنزول إلى الشارع واستطلاع الآراء والتعرّف على الأفكار حتّى نكشف الخلل عندما تسأل الناس بمختلف طبقاتهم العلميّة ما هو الدين ؟ وما تصوّرهم عن الدين ؟ يتلكأ كثير منهم عن الاجابة والبعض الذي يحسب نفسه مثقّفاً أو من النخبة الحوزويّة يجيبك بأنّ الدين مجموعة من الأوامر والنواهي التي تستلزم الفرد طيلة حياته أي منظومة من الالتزامات الملزمة للانسان .

كالقوانين المعمول بها في البلدان المختلفة ! هنا تعثر على نصف العلّة في البلايا الموجودة فينا ، فالخلل المعرفي الذي يعانيه المجتمع وعدم معرفته للدين أنزله في جحر مظلم ، الدين هو معرفة الله أوّلاً وبالذات معرفة دقيقة ، أن نعرف خالقنا وصفاته حتّى نعثر بواسطة هذه المعرفة على الاجابة للغز معقد وهو لماذا خُلقنا وجئنا لهذه الدنيا ، فما الهدف من وراء الحياة التي نعيشها ؟

تعرف الاجابة حين تعرف الله الذي خلقك وما هدفه من هذا الايجاد ؟

فلو قلنا بإجابة الملاحدة تكون الصدفة والعبثيّة هي الموجدة لهذا الكون العظيم ، فمادام لا غاية وهدف من وراء وجودنا فيكون بالتالي تنظيم حياتنا

على أساس هذا الشيء وهو انعدام الغاية في الحياة الدنيويّة والموت أولى من حياة فارغة لا معنى لها.

ولكن قوّة الفطرة والوجدان الموجود في كلّ انسان يغلب في كثير من الأحيان أقوال كثير وليس دائماً.

وفي أحسن تقدير من الملاحدة يجب أن نخوضها بكلّ لذائذها.

على هذه النظريّة الالحاديّة المحطمة وتدفع الانسان باستمراريّة الحياة.

استغلال منافع الدنيا بكلّ صورة وجلب المنفعة بأيّ ثمن كان ويكون مذهب ميكافيلي وهو عبارة عن الغاية تبرر الوسيلة شعارنا في الحياة ولا يعني هذا الفوضى أو الهرج والمرج وإن كان احدى صوره ولكن يظهر بصورة فوق القانون أيضاً واستغلال القانون فِي الوصول إلى المطامح الدنيويّة فما أكثر الأقوياء الذين يلتفون حوله.

وأمّا لو تمسكنا بمعرفة الله ونتفكّر في صفات الله تعالى ومن ثمّ نسأله لماذا أخرجتنا من ذلك السبات الجميل إلى هذه المادية الكدرة وما الذي تريده منّا؟

لعلّنا نجد ضالتنا في الثقلين كتاب الله وعترة أهل البيت عليهم السلام.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١) إذ غاية الخلق هي العبوديّة ولكن ما هي العبوديّة؟ هل هي أوامر ونواهي؟ وكما يقول الإمام الهادي عليه السلام: «**العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة**».

عندما أنزلنا الله من الأعلى إلى أسفل السافلين يريد أن نصعد باختيارنا

(١) الذاريات: ٥٦.

إلى منزلنا الحقيقي وذلك بالتخلّي عن العوارض التي تلصقنا بالأرض.

البشر موجودات سماويّة مجرّدة خلقت أوّل مرّة من دون هذه الشهوات.

كنّا نعيش مرتاحين في الجنّة والحيلة الخبيثة أهبطتنا إلى الأرض نحن لا ننتمي إلى هنا علينا الرجوع إلى وطننا الحقيقي وإنّما الأرض مجرّد محطّة أو قل شجرة نستريح في ظلها[1] مدّة قصيرة ثمّ نستكمل مسيرنا إلى الملكوت فهل ترى الفرق الشاسع بين حقيقة التوحيد وخرافة الإلحاد؟

(٢)

ما الذي يقدّمه الإلحاد لنا؟ لو قرأت الكتب الالحاديّة لوجدت شطراً منها يتناول الطعن بالدين والانتقاص من الأديان ونحن لا ننكر بوجود الخرافات في بعض الأديان والمذاهب، والسبب الرئيسي وراءها هو الملحدون الذين يتلبّسون بلباس الدين نفاقاً فيدخلون في المنظومة الدينيّة ويعملون على تحريفها وتخريبها وطالما اشتكى القرآن الكريم من المنافقين أكثر من الكفّار جهرة، أمّا المنافقين المتستّرين بين المؤمنين فهم يخدعون الناس بظاهرهم الإيماني لأجل الوصول إلى مآربهم الخاصّة فكلّ دين لو نجح زعيمه في نشره بين الناس وأقبلت عليه الجموع كان ذلك مورداً لطمع كل من يريد نيل الدنيا ويغلي في صدره يغلي حبّ الرئاسة وأمله في الزعامة، فهؤلاء يتصيدون كلّ فرصة للتقرّب إلى النبي أو الإمام لإلفات أنظار عيون الناس إليهم وان استطاعوا أخذ زمام المبادرة هناك تبدأ مسيرة الانحراف عن الطريق القويم والملاحدة

---

(١) قال رسول الله ﷺ: ما أنا في الدنيا إلّا كراكب استظلّ تحت شجرة ثمّ راح وتركها.

يتصيّدون هذه الانحرافات ليطعنوا بالدين وبالله تعالى، والشطر الآخر من كلام الملاحدة هو دعوة للتمتّع بالحياة الماديّة وان المادة هي الأساس الذي نحيى ونفنى لأجلها وليس وراءها شيء يذكر، ولكن الدين الصحيح يعدل بين الدنيا والآخرة ويرسم طريقاً عقلائيّاً للانسان في حياته، فباستطاعة العقلاء أن يتنعّموا بالزينة التي خلقها الله بالطرق العقلانيّة وليس الاباحية بل بالوسطيّة وليس الالحاديّة المتطرّفة التي تبيح كلّ شيء، بل الدين يهبك منهجاً سليماً يسعدك في الدنيا والآخرة، ولعلّ مناظرة الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام مع عبدالكريم الملحد تختصر كلامنا حين يقول الإمام مخاطباً الملحد: « إن يكن الأمر كما تقول وليس كما تقول نجونا ونجوت وإن يكن الأمر كما نقول وهو كما نقول نجونا وهلكت »[1].

الإلحاد باختصار هو الفراغ الهائل والثقب الأسود في الحياة الذي يحوّل الحياة إلى ثواني لا معنى لها ولا تعرف ما الهدف من دقّ الساعة وهو ضار لجميع الطبقات الاجتماعيّة، فإن كنت غنيّاً فقد حصلت على جميع لذائذ الدنيا وقد تذوقت من كلّ شيء فإن لم تكن مؤمناً فقد فقدت المبرر من الوجود لأنّه لم يبق شيء منها إلّا وقد وصلت إليه، الآن ماذا تفعل ؟ وما الذي تريد أن توصله ؟ لا شيء يعيش مع لا شيء لهذا السبب ينتحر بعض الأغنياء الملحدين[2] وإن كنت فقيراً معدماً وحياتك عبارة عن كدح وتعب فسوف

(١) الكافي، ج١، ص١٠٦.

(٢) نشر موقع روسيا اليوم خبر انتحار شابّة أمريكيّة أخصائيّة في التغذية وتقطن مدينة نيويورك، وجاء في رسالة الوداع التي كتبتها قبل أن تقدم على شنق نفسها حيث جاء في مطلع الرسالة: أنا أشعر بأن هذا الوقت هو الأنسب لهذه الرسالة لقد أدركت أني أعيش حياة جيدة على الورق آكل ما لذّ وطاب من ⇦

يزيدك الالحاد مصائب على مصيبة فقرك، فأنت تصب العرق لأجل لقمة صغيرة وحياتك تقتصر على العوز فما الفائدة والربح الذي تجنيه من هذه الحياة البائسة ؟ ولهذا يكثر الانتحار في الطبقات المتوسّطة والفقيرة لأنّه يرى الدنيا مبلغ سعادته فإن لم يحصل عليها فيضع حدّاً لهذه المعاناة ولكن في التوحيد لهذه الآلام قدسيّة خاصّة الدين يُعلي من شأن الفقراء حتّى جاء عن الامام الصادق عليه السلام: « **إنّ الله يلتفت يوم القيامة إلى فقراء المؤمنين شبيهاً بالمعتذر إليهم فيقول وعزّتي ما أفقرتكم في الدنيا من هوان بكم عليّ ولترون ما أصنع بكم اليوم فمن زوّد أحداً منكم في دار الدنيا معروفاً فخذوا بيده فأدخلوه الجنّة** » إلى آخر الحديث[1].

فترى أنّه سبحانه وتعالى جعل لهم مقام الشفاعة وهو مقام عزيز لا يناله كلّ أحد، وعشرات الأحاديث الأخرى التي تبين حُسن مقام الفقراء في الآخرة.

وأمّا الإلحاد فهو يساعد على الإجرام وارتكاب الفظائع، فإنّ الشابّ الفقير أو الطامح للوصول إلى عيشة الأغنياء حين يُلحد سوف يستنتج ان الحياة إنّما هي الدنيا فقط فإن عشت غنيّاً ربحت وإلّا فلا ينتظرك إلّا العدم فمن حقّه أن يصوب فوهة المسدس نحو رأس التجّار والأغنياء فلا يوجد مانع عقلاني يمنعه من التمتّع في الساعات الباقية له من الدنيا، فأيّ عقيدة أو فكرة

⇨ طعام غيري لا يستطيع حتّى تخيله وأسافر وأنتقل إلى بلدان ومناطق مختلفة بحريّة أعيش في ثاني أعظم الولايات المتّحدة سان فرانسيسكو لكني مع ذلك تعيسة وأشعر دائماً بأنّي وحيدة في غرفة مليئة بأشخاص مقرّبين أشعر باللاشيء في أسعد لحظات حياتي.

(١) الكافي، ج٢، ص٣٢١.

باستطاعتها أن تصدّه عن نيل الدنيا بأيّ وسيلة متاحة وإن كانت على حساب الآخرين ، وهذا هو ديدن الرؤساء والملوك أيضاً اختلفت الطرق والوسائل ولكن الغاية واحدة .

(٣)

إن موجة الإلحاد التي تجتاح بلادنا هي نتيجة أسباب عدّة منها قلّة التعقّل والتدبّر في الدين ، فالناس لا تعرف دينها وإنّما تعرف أهل الدين فإذا فسدوا فسد الدين في معتقدهم أيضاً وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **صنفان من أُمّتي إذا صلحا صلحت أُمّتي وإذا فسدا فسدت أُمّتي ، قيل : يا رسول الله ومن هم ؟ قال : الفقهاء والأُمراء** »(١) .

وفي أيّامنا قد فسد وأفسد بعض أدعياء الاصلاح والمرجعيّة وقعدوا على كراسي لا تصلح لهم وفي كلّ يوم يزيدون في الأُمّة فساداً .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(٢) .

وترىٰ تحسن معيشتهم بعد أن كانوا في ضنك العيش ويخفون أموال الفقراء في المصارف ومشاريع هم المستفيد الوحيد من ورائها ، ويا حبّذا أنّهم اقتصروا على الفساد المالي بل تعدوه إلى قطع الأعناق والخوض في الدماء ، وهم لا يفقهون آية من كتاب الله تعالى وبشقّ الأنفس يمكن أن تحصل على جملة مفيدة من كلامهم .

---

(١) الخصال ، ص ٤٥ .

(٢) البقرة : ١١ ـ ١٢ .

هنا يأتي دور العلماء والمفكّرين في فضح هؤلاء والردّ عليهم ولكن تخار القوى وتتراجع الأقدام خوفاً من بطش الجهلة والرعاع من الاتباع .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **إذا ظهرت البدعة في أُمّتي فليظهر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله** »(١).

وقد بيّن وكتب كثير من العلماء جزاهم الله خيراً ورفعوا الستار عن الحق وعلى من يريد معرفة أهل الحق أن يتبع نصيحة الإمام عليّ عليه السلام حيث قال : « **اعرف الحق تعرف أهله** »(٢).

ومن المؤسف أن ييأس شاب من الدين بعد وقوع عينه على فساد أحد المشايخ أو ان يكتشف ان من يتبعه لا يستحق الاتباع فيترك الدين من وراء هذه الصدمة مع انّها باب رحمة فتحت له ليستغلها في عدم ضياع حياته باتباع الفاسد ، وعليه أن يبدأ من جديد ولا يكتفي هذه المرّة بالظاهر أو ينساق مع الجماعة وقول الأكثريّة بل عليه أن يلتجئ إلى معدن الحكمة والأدلّاء على الله تعالى أهل البيت عليهم السلام فقد وضعوا الصفات والشرائط اللازم حصولها في العالم المقتدى به في عصر الغيبة فكم من شخص منّا بحث بجديّة عن الحق ؟ ومن ثمّ أيصحّ ترك الذهاب إلى الأطبّاء بحجّة وجود طبيب فاسد بينهم ؟

يُحكى أنّ شابّاً دخل إلى مجلس العلّامة الطباطبائي فسأله عن التقليد ، أجاب العلّامة : ان المقلد يجب أن يكون على معرفة بالمقلَّد (المرجع) ومعرفته هي نتيجة مراقبته عن قُرب لسلوك وأعمال (المقلَّد) وأن يطلع على أفكاره وعقائده ويضع من يثق بهم من أهل الخبرة عيوناً على من يريد تقليده

(١) المحاسن ، ص١٨.

(٢) الطرائف : ٢٠٥/١ ضمن ح ٢١٥ ، عنه البحار : ١٢٦/٤٠ ضمن ح ١٩.

ليخبروه عن أحواله وأخباره حتّى يستطيع بواسطة هذه الأُمور أن يطلع بصورة كاملة على خصائصه النفسيّة ومدى قُرب مبانيه إلى مباني الشرع المقدّس ويعرف ميزان تقواه وأُموره المعنويّة.

وما ان أتمّ العلّامة كلامه سأله الشاب مستغرباً: ان لازم كلامك أن أقضي سنتين من عمري في الفحص والتحقيق حتّى أصل إلى تحقّق هذه الشرائط في الشخص الذي أبحث عنه.

أجابه العلّامة بصوت هادئ: ألا يستحق ذلك؟

ومن أسباب الإلحاد هو ظهور الجماعات المسلحة بأسماء متشابهة أمثال القاعدة وداعش وبكو حرام التي تدعي انّها تمثل الإسلام وتريد تطبيقه من خلال قتل الأبرياء والعزل!! صدمة داعش على النفوس كان لها تأثير بالغ وزلزلت نفوساً كثيرة، منظر الدماء والوحشيّة في اقتلاع الرؤوس أوجب بتراجع ضعفاء الايمان عن دينهم ولكن لا ينبغي أن ننسى مجازر الطرف المقابل من جيوش العلمانيّة الامريكيّة وجيش النظام البعثي العلماني التي أدّت إلى نتائج عكسيّة حيث من أثرها التفات الشباب الرافضين للظلم حول الدين لأنّه يقع في الجهة المقابلة للعلمانيّة ومن كان يحمل لواء الدين؟ هم الوهابيّة المنبثقة من رحم أهل السنّة والجماعة، فكانت ردّة الفعل أفظع وأشنع ممّا ارتكبه العلمانيّون، وكلّ ذلك تحت لواء المذهب الوهابي فبدلاً من أن يهذب النفوس ويجعل ديباجة أعمالهم: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[1] بل ركضوا إلى المقابر وأخرجوا منها فتاوى رجل كان يعاني من مرض العصاب وأعلنوا (فأمّا إذاكان في التمثيل الشائع دعاء لهم إلى

(١) المائدة: ٨.

الإيمان أو زجر لهم عن العدوان فانّه هنا من اقامة الحدود والجهاد المشروع) ومنها بدأ السباق في الوحشيّة ، ونالت داعش المرتبة الأولى بين خصومها ، والذي نستفاده من هذه الحوادث إنّ الناس تتبع الظاهر من القول والفعل ولا تستند في كثير أو أغلب الأحيان إلى العقل ، فحين ظلمهم النظام العلماني انقلبوا متدينين وجرعوا أدوات النظام العلماني ضعف العذاب فلم يحسنوا الاختيار وحين ضاقوا ذرعاً من وحشيّة الوهابيّة ارتدّوا عن الدين كلّه .

التساهل في أمر الدين وأخذ الانتماء الديني والتقليد بصورة لا ابالية وجعلها في نهاية المهمّات التي يهتمّ بها الإنسان في حياته تورث كلّ هذه البلايا على العباد والبلاد ، لو اهتمّ الناس بالدين كاهتمامهم بنوعيّة مأكولاتهم ومشروباتهم لما وصلنا إلى هذا الحد من الانحطاط انّهم ينتمون إلى الجهات الدينيّة بعواطفهم ويلاحظون أفعال حواليهم من أمثالهم فينحشرون مع الأكثريّة ويطبعون بطابع الأغلبيّة خوفاً من التفرّد واستيحاشاً من التميز ، يقول أميرالمؤمنين عليه السلام : « **لا تستوحشوا طريق الحقّ لقلّة سالكيه** » ولكن اللاشعور الإنساني كأنما مبرمج على حفظ نفسه من النقد والأذى فلهذا يتجنب الفكر والتدبّر وإنّما يرنو بعيون بلهاء إلى ما يفعله أغلب الناس ، وأمّا الحق فلا يخضع لميزان الأكثريّة أو قاعدة خالف تعرف فهناك عقائد يعتنقها قلّة من الناس ولكن هي باطلة وكونهم اقليّة لا تعطيهم الحجيّة وإنّما الحق هو مطابقة الواقع ومعرفة الحقيقة كما هي سواء وافقت رأي أغلب الناس أو لا فهو خارج عن دائرة اهتمام طالب الحق .

(٤)

بين يديك كتاب يناقش ما يطرحه الملحدون من شبهات حول الجهاد والسبي والإماء والعبوديّة والشر وحرية التعبير في الإسلام، فهذا الدين هو الحصن الأخير الباقي على قوّته في مقاومة كلّ أمواج الشكّ والإلحاد، فقد سبق وحطموا النصرانيّة واليهوديّة، فصيحات القساوسة وشكواهم بخلو الكنائس لم تجدي نفعاً واليهوديّة هو دين القوميّة ولا اعتبار له ولكن بقي الإسلام صامداً ليومنا يستقطب المئات من مختلف العالم نحوه وهو شوكة في عيون الملحدين، لهذا يكثرون بل جلّ طاقتهم يصبونها في تشكيك الناس بالإسلام، وقد فرغت نفسي لأكون أحد الجنود المدافعين عن هذا الحصن المنيع، فتوجّهت إلى ثلاثة من الملحدين لكسر شوكتهم وهم الفرنسي ميشال أونفراي في كتابه نفي اللاهوت والفرنسي موريس ماشينو في كتابه فرنسا جمهورية الدراويش والعراقي حسنين السراج في كتابه جرائم ارتكبتها حين كنت حارساً لدين الله.

والأخير وإن لم يعلن الحاده علناً ولكن كتابه مشحون بالكفريّات والاستكبار ويطرح شبهات الملحدين ويمجدها حتّى وصلت به الوقاحة أن يشبه خالق السماوات والأرض بالدواعش لأنّ الله سيحرق من لا يعترف بوجوده فكذلك يفعل الدواعش!

يا للعجب كلامه يتعدّى مرحلة القياس مع الفارق فإنّ الله تعالى لا يجازي إلّا الظالم المعاند العالم بالحق وأهله مع ذلك يضع الحق تحت رجله عامداً عالماً، أمّا الدواعش فيحرقون من يخالف فتاواهم العوجاء التي تخالف

الفطرة الإنسانيّة ودين الله تعالى قائم على الفطرة السليمة ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] **أمّا من يقتل البنات التلميذات الطامحات في التعليم لأن دينه الناقص يأمره بذلك يقاس مع الله سبحانه وتعالى الذي يجازي المغتصب وضارب اليتيم وقاتل النفس البريئة بسوء أعمالهم ، سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم ، الذي يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنّناً منه ورحمة .**

(وبالغافلين عن ذكره رؤوف رحيم وبجذبهم إلى بابه ودود عطوف)

(من استنقذ السحرة[2] من بعد طول الجُحود وقد غدوا في نعمته يأكلون رزقه ويعبدون غيره وقد حادّوه ونادّوه وكذبوا رسله ، الذي يطمع برحمته إبليس اللعين في عرصات يوم القيامة .

حيدر مهدي القرشي

(١) سورة الروم (٣٠): ٣٠.

(٢) السحرة الذين استعان بهم فرعون لإبطال برهان موسى .

من هنا بدأت القصّة...

كنت في مضيف مكتبة الإمام الحسن عليه السلام أتسامر مع أصدقائي وأُطالع الكتب منشرحاً صدري بأحاديثها، وإذا بجماعة غريبة مظهرها تدخل المكتبة وتطرح أسئلة على الحارس فيرشدها إلى حيث أجلس فدخلوا عليّ وقمت بالترحيب بهم وبعد لحظات من المجاملة المتعارفة استفسرت بصورة غير مباشرة عن سبب مجيئهم لأن هيئتهم تدلّ على غرابتهم عن بلدتنا فعرفني الذي يحكي نفس لغتنا المتجانس معهم في المظهر ومن ثمّ عرفت تشابه معهم في الأفكار أيضاً عرفني على جماعته فرداً فرداً وقال: انّ سبب مجيئهم هو السياحة أوّلاً ومن ثمّ التعرّف على الحوزة العلميّة وروادها والدخول في حوار خفيف حول الدين معهم لا أدري من سوء طالعهم أو طالعي أن كانت الدروس في ذاك اليوم معطلة ولم يجدوا غيري محاوراً لهم فقبلت الفكرة حينما رأيت اصرارهم على النقاش وقبل أن أذكر لكم ما جرى من مناقشات بيننا أبين أنّ هناك أشخاصاً من زوّار المكتبة حينما سمعوا حوارنا دخلوا من دون استئذان وتدخلوا في مجريات الحوار.

الشر والقسوة في العالم

المقدّمة: الاسطوانة المشروخة التي يعزفها جميع الملاحدة ولم يملوا من ايقاعها الملل والمتكرر دوماً، الجمود في الأفكار من مميّزات عقل الملحد فهو يكرر ما قاله أسلافه السابقين، ولكن المؤمنون يختلفون في موسيقاهم لكل ملّة نغمتها الخاصّة في رد شبهة الشر لنعطي المجال للملحد ليكشف ما في جعبته عن قضيّة الشر.

بدأ الملحد الحوار قائلاً: منذ القود طرحت مشكلة الشر وأنتم لم تستطيعوا الرد عليها ولن تقنعونا بردودكم بل نحن مستمسكين بعقيدتنا ان ما يدعونا إلى انكار الله اعتقادنا انه رحمن رحيم رؤوف بعباده فكيف يخلق الشر؟ فهل تعتقدون ان هذا الموجود الذي هو كلي الرحمة أن يصدر منه شر، هذا مستحيل ألم تسمعوا المحاجة الرائعة التي أقامها فيلسوفنا المعظم أبيقور المبجل حيث يقول: هل يريد الله أن يمنع الشر لكنه لا يقدر؟ اذن هو ليس كلي القدرة؟ هل يقدر لكنه لا يريد اذن هو شرير هل يقدر ويريد فمن أين يأتي الشر؟ هل هو لا يقدر ولا يريد فلماذا نطلق عليه الشر؟ أبإمكان أحد رد هذا المنطق القويم؟

المؤمن: اصبر قليلاً كفاك تبجحاً دعني استوضح نقطة صغيرة ثمّ أدعك تسترسل في كلامك، لا إشكال بوجود الشر في الدنيا سواء ثبت وجود الله أو لا؟ فهو لا ينفي وجود الشر أو يثبته ولكن مع اقرارك بوجود القسوة والآلام في الدنيا كيف تطيق العيش فيها فهل نفعك إلحادك في معضلة الشر لأسلم معك وأقول لا وجود لخالق عظيم، الان اريد أن

يخلّصني الالحاد من مشكلة الشر؟ وانا مبتل به يوميّاً لا يفارق بـصري منذ لحظة استيقاظي من النوم.

الشرور والمشاكل التي تنزل بي من أناس عديمي الأخلاق وأتألّم حين أرى البلايا في الأحبّة والأصدقاء أرشدني يا ملحد؟ أرسل لي طوق النجاة؟

الملحد مستنفراً: تبّاً للطبيعة تباً للحياة وسحقاً لها حـين أتأمّـل حجم المعاناة الموجودة في هذا العالم، لا ألوم مـن يـعزف عـن الزواج والحب حتى لا ينجب اطفالاً ويجعلهم جزء من هذا الواقع البائس، أقول لك بصراحة لا يوجد مبرر للإستمرار في الحياة مع ما فـيها مـن مـرض وظلم.

المؤمن متعجّباً: هوّن عليك يـا رجـل لا يـرتفع ضـغطك كـثيراً وينفجر الدم في عروقك هوّنها تهون، لم أكن أعلم ان نظرتك للحياة بهذه السوداويّة الكريهة.

الملحد مدافعاً: كلا أنتم أُناس سذّج تفضلون خيالات الأطـفال المهدئة على يقينات الراشدين القاسية، انكم تفضلون الإيـمان المسكـن على العقل، انكم تفضلون الخرافات والخيالات والأساطير والحكـايات الجديرة بالأطفال بدل رفع اللثام عن حقيقة العالم القاسية التي تجبر المرء على تحمل بديهيّة مأساويّة العالم!

المؤمن: ولكنّك لا تقدم حلّاً عن الخرافات كما تسمّيها بل تـريد الانتحار وتستشهد دائماً بأبي العلاء المعري في عدم زواجه، أنت تـريد

وضع حد للحياة تريد الموت وأنا اريد الحياة وإني أتعجب منكم يا معاشر الملاحدة كثيراً حينما تعيبون على المؤمنين استنكافهم عن مباهج الدنيا وحبهم للزهد فيها مع انكم تعيرون المؤمنين بأنّهم يعادون الحياة الجميلة ولا يحبون الجمال فما حدا مما بدا، لماذا مسألة الشرور أزالت عقولكم من جذورها وقمتم تصبون اللعنات على هذه الدنيا، دعني أجيبك على استشهادك بأبيقور.

الملحد مقاطعاً ويقول بسخريّة: وهل أنت نظير للفيلسوف حتى تجيبه.

بويتيوس يجيب على إشكالية الشر

المؤمن: اسمح لي أن آتيك بنظيره وإني على علم ان المبارز يطالب نظيره في المبارزة، دعني آتيك بفيلسوف هو محل اعجاب وأحمل له حبّاً وتقديراً كثيراً في قلبي ولا أملّ من قراءة كتابه أبداً.

لا أحد يناله دَهَش حين تثور الرياح؛
وتضربُ الشاطئ بالموج الهادر؛
أو حين تذوب كتل الجليلد الصلب؛
تحت لهيب شمس الصيف؛
فهنا الأسبابُ في متناول اليد والفهم؛
وهناك الأسباب خفيّة توقع الحيرة في القلوب فالزمن يُهوّل من شأن الأشياء النادرة الحدوث والجموع تروعها الأشياء المباغتة غير

المعتادة ولكن دع غيوم الجهل تنقشع عنها وسرعان ما يزول معها العجب والاندهاش.

هنالك العناية وهي العقل الالهي نفسه الذي يـدبر الأشـياء جـميعاً وتَقَرُّ مع المتصرّف الأعلى في الكل، أمّا القدر فهو النظام المخطّط القائم في الأشياء المتغيّرة والذي من خلاله تسلك العناية كلّ شيء في موضعه المقيض له، تشمل العناية كلّ الأشياء في الوقت نفسه عـلى تـنوعّها أو تكثرها، فالله يشيد في عنايته خطة ثابتة واحدة لكـلّ مـا سـيحدث... فالعالم يُدار على أفضل نحو... ولأنّكم معشر البشر لستم في موقع يتيح لكم تأمّل هذا النظام يبدو لكم كلّ شيء مضطرباً في فوضى، ولكن الحق أن كلّ شيء يأخذ موضعه الذي يضبطه ويتجه به صوب الخير لا شيء يمكن أن يحدث بسبب الشر أو بسبب الأشرار أنفسهم وإنّما يحيدون عن التماس الخير بالخطأ والحمق، لعلك تعترض بقولك انه ليس ثمّة ما هو أسوأ اضطراباً من ان مصائر أخيار الناس وأشرارهم ما تفتأُ تتقلبُ بـين العسر واليسر، وسوف أسألك ما إذا كان للناس دائماً ذلك العقل الصائب الذي يخولهم عصمة من الخطأ في حُكمهم عمّن هـو صـالح ومـن هـو طالح، كلا ان احكام البشر لتتضارب في هذا الشأن بحيث إن من يحكم عليهم البعض بأنّهم أهل للمثوبة يراهم الآخرون أهلاً للـعقوبة، حـقّاً إن دهشتك أشبه بدهشة رجل لا يعرف لماذا تلائم بعض الأجسام السـليمة الأطعمة الحلوة وتلائم بعضها الآخر الأطعمة المُرّة، أو لماذا ينتفع بعض المرضى بالعقاقير الخفيفة وينتفع الآخرون بالعقاقير الحادة والمرّة ولكن

الطبيب لا يَدهَش لهذه الأشياء لأنّه يعرف سُبُل الصحّة والمرض ومواصفاتهما وماذا تكون صحّة الروح غير الفضيلة؟ وماذا يكون مرضها غير الرذيلة؟ إن الله لينظر من علياء عنايته ويرى ما يلائم كلّ انسان ويُيسّرُهُ له.

من هنا إذن يأتي السبب الواضح للاندهاش من نظام القدر، إله حكيم يفعلُ وبشر جهول يستغربُ أفعاله.

ولكي أُطلعك على شيء من عمق الحكمة الالهيّة بقدر ما يسمح الفهم البشري...

هناك من يصيب مزيجاً من العسر واليسر وفقاً لصنف روحه، وقد تشاء العناية أن توخز البعض كي لا يُبطرهم طولُ الرخاء وقد تَبتلي البعض بالشدائد حتى تقوّي فيهم فضائل الروح بممارسة الصبر وإذ يخشى البعض من الألم وهم قادرون عليه ويستهين به البعض وهم غير قادرين على احتماله فقد يذيقهم القضاء شيئاً منه لكي يكتشفوا أنفسهم فهل هناك من شكّ في حكمة التدبير الالهي في كلّ هذه الأشياء وفي انها تجري في صالح من تنزل بهم؟

إنّها قدرة الله وقدرة الله وحدها قد تكون الشرور خيراً أيضاً وذلك حين يُصرفها الله تصريفاً يحقق نتائج خيّرة... تظنّون أن الشر يملأ الأرض ولكن لو أمكنكم أن تنظروا بمنظار العناية الالهيّة لما وجدتم له على الأرض أثراً[1].

---

(١) عزاء الفلسفة: ص٦٧.

الملحد: كلّا لا يوجد خير على الإطلاق بل الشر هو الحاكم المطلق.

المؤمن: ما أشبه كلامك بعقائد الفرقة الغنوصيّة المسيحيّة، كانوا يعتقدون ان الدنيا الممتلئة بالشر لا يمكن أن تكون من صنع الله بل هي من صنع الشيطان، فمهما اعتقدت لا يمكن أن تخرج من دائرة العقائد الدينيّة الواسعة لأنّك بنفيك الجمال والخير من الدنيا وجعلها محل الشر لا يستلزم ذلك نفي الصانع وإنّما يستلزم منه نفي صفة الرحمانيّة والحكمة منه، وبما أنّ لكلّ شيء صانع فلابدّ أن يكون للشر أيضاً صانع ولكن فرضيّة خالقيّة الشيطان أو أي موجود شرير لهذا العالم تنافي العقل لأنّ الشر عبث وقبيح وبالضرورة هناك حكمة وجمال لا يمكن لأحد حتّى أنت الملحد نكرانه.

الملحد: بلى أنا أنكر كلّ شيء جميل ولا أرى إلّا القبح حتّى أكلك لا يتم إلّا عن طريق الشر والألم للحيوان المذبوح ظلماً، لماذا خلق الله طعام الانسان له مشاعر وعواطف ويساق إلى الموت على يد الراعي الذي وثق فيه طوال عمره مع ان الله كامل القدرة يستطيع أن يخلق لحماً على شكل ثمار مثلاً بما أنّه قادر على كلّ شيء؟

المؤمن: حسب كلامك يجب أن لا تمشي على الأرض لأنّك ربما تدوس بقدمك على نبات ما وتقتله أو حشرة صغيرة لا تعلم بها وبقدمك تفنيها من الوجود، بل حتّى لا يصح لك أن تأكل شيئاً أو تشرب ماء لأنّك بذلك تنقص من خزائن الأرض وتضرّ الأجيال القادمة ولا أن تستعمل أي

غرض من الأغراض المستحدثة لأن كلّها فيها مضار من نوع ما على الطبيعة، ما عليك إلّا الجلوس في أرض قاحلة وانتظار الموت، لماذا لا تفكر بعقلانيّة وأنتم تدعون متابعة العقل هل تشرح لي نبذة عن أفكارك؟

الملحد: ماذا لو كان الانسان قادراً على فعل الشر لكن لا يمكنه قتل انسان آخر؟ يمكنه ايذاءه وقتياً فقط لأنّ الكائن الحي من القوّة بحيث لا يموت ولو رماه أحدهم من شاهق تتكسر عظامه لكن لا يموت؟ ماذا لو كان الانسان يكبر لكن يتوقف في سن الخمسين؟ ماذا لو كانت جميع الكواكب مؤهلة للحياة مثل الأرض ماذا لو كان كلّ انسان قادر على انجاب طفل واحد فقط أو طفلين وبعدها يصاب بعقم اوتماتيكي؟

المؤمن: هذا وأنتم تدعون العقلانيّة، كلامك أشبه بتخريف الصبيان إلى كلام انسان عاقل وأنت تصب آمالك على البشريّة جميعاً، لعلّ أحدهم يحب أن ينجب ثلاثة أطفال ومن ثمّ لما لم تحلم بأن تتدلى النساء من الأشجار كالثمار الناضجة وبذلك نتخلّص من مشكلة الكبت الجنسي.

كلّ هذه الأفكار نابعة عن الجهل، الجهل بالغايات والجهل بالبدايات والجهل من أين أتينا وما علينا أن نفعل ولماذا أتينا للدنيا؟

هل خلقنا لأجل الشهوات الدنيويّة هل خلقنا للأكل والشرب؟ والهناء الأبدي في الدنيا؟ هل خلقنا للذّة العابرة؟

يهزّ الملحد رأسه بالايجابية.

المؤمن: اذن تكون الآلام حقاً هي خلاف الغرض وخلاف الطبيعة وكلّ من يخالف الطبيعة شاذ ولا يصلح أن تكون قاعدة يعتمد عليها في الحياة، والشاذ لا يكون علّة لايجاد العالم لأنّ العالم له قوانين مستقيمة والشاذ منحراف عن القوانين، وكلّ ما يخالف العلل والأسباب لا وجود له وبذلك تبطل فكرتك أنّ للنظام الكوني خُلق من أجل اللذّة وإنّنا يجب أن نلتذ ونتمتع فحسب فإن وجود الآلام يدحض ذلك.

النتيجة ان الشر لا وجود له بل كلّ ما يجري في الدنيا هو حسب النظام الأكمل والأحسن.

الملحد: ان الشرور محبطة وتيئس الانسان من الحياة؟

قصّة الملاكم الفلبيني

المؤمن: من رحم الفقر ولد الفلبيني ماني باكياو حيث نشأ في ظروف معدمة ولكن لم يستسلم لليأس أو بدأ يلوم حظه التعيس، لم يندب حياته العاثرة رغم انّه بلغ بأبيه الجوع حتّى أكل كلبهم الصغير، تحيط محيطه المآسي المروعة ولم يفارقه الجوع أيّام طفولته، ولكنّه لم ينحرف عن الطبيعة ويلجأ إلى الخمر والحشيش بل قاتل لأجل تحقيق أهدافه عن طريق الرياضة وبالذات الملاكمة، واليوم تقدر ثروته بخمسمائة ألف دولار وهو داعي مسيحي يدعو إلى مساعدة الفقراء.

أي نموذج نقدّمه للشباب والفقراء نقول لهم ان الدنيا دار مأساة لا

فائدة من وراء العيش فيها كما يدعوا الملحدون أو نعطيهم الأمل والطمأنينة.

الملحد: أنتم انتقائيون عندكم قوالب حاضرة وتصبون كل شيء فيها، لا أرى تبريراً مقنعاً لوجود المعاناة العبثية الحاكمة في الطبيعة لأنّه لا يكترث لأمري، لماذا يجب أن يموت الأيل ليعيش النمر؟.

المؤمن: ﴿**أيَحسَبُ الإنسانُ أن يُترك سدى**﴾ أحقاً يعتقد الانسان ان خالقه لا يكترث له والفوضى هي التي تتولاه، بل الله عليم بعباده، وهو الذي يأخذ أهل الدنيا بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ويتفكرون انهم لم يخلقوا لهذه الدنيا، انما هي (دار المقدور على أهلها الزوال) والناس في (هذه الدنيا غرض تنتصل فيه المنايا مع كلّ جرعة شرق وفي كلّ أكلة غصص لا تنالون منها نعمة إلّا بفراق أخرى... إلى آخر الحديث).

فالنعيم الذي يتمناه الملحد ويعترض بسببه على الله ويدعي انّه لا يكترث لأمره ولم يغطيه بالنعم لو نظرت بإمعان إلى ما هي أمنياته لرأيتها نعم زائلة متعبة لا تحصل إلاّ وتفقد قوّة من جسمك، هذا الملاكم الذي مدحناه قبل قليل لم يحصل على الدنيا إلّا بعد أن تلقى كمّاً هائلاً من اللكمات على وجهه، وحب أكثر الناس للنساء والنيل المتعة الجنسيّة وحين ينالون المراد يعم الضعف والخوار الجسم وتفقد مقداراً من صحّة جسمك، هل هذه غاية آمالنا ومنتهى رجائنا أكل وشرب وجماع وهن بعد حصولهن يتركن الأذى لنا أوجدها خالقها هكذا لتعرف انها محطة للعبور وظل تستريح في خلاله برهة قليلة ثمّ تنتقل منه.

حوار السجين مع طبيبته

من زنزانة إلى زنزانة أخرى، هكذا قضى نوسيه موهيكا حياته في السجون الانفراديّة مع حرمانه من أبسط الحقوق الإنسانيّة، عاملوه كالحيوانات من ضرب وإهانة وأقسى عقوبته كانت قضاء سنين من حياته محاصراً بين جدران أربعة لا يوجد من يتكلّم معه، لا يوجد إلّا الفراغ المخيف حتّى كاد أن يجن، وبدأ بسماع أصوات في رأسه أشرف على الجنون فأشفق عليه السجان فعرضوه على الطبيبة النفسية وجرى بينهما الحوار التالي: الطبيبة: إنّ ما تمرّ به ذهان وهمي جزء من مرضك له علاقة بعدم قدرتك على الراحة، عليك التشبث بأيّ شيء تستطيعه الان يا موهيكا، أيّ شيء لديك هل أنت متدين؟ أتؤمن بالرب؟

موهيكا: أي رب قد يفعل هذا.

الطبيبة: الوحيد الذي لدينا لسوء الحظ.

موهيكا: إن ظل الرب الذي تؤمنين به صامتاً وتقولين إنّني مجنون بماذا أتشبث؟ لماذا لا يكترث لي. انتهى.

كان خوزيه موهيكا عضو كونغرس وسيناتوراً ثمّ بعد الإنقلاب العسكري سجن لمدّة عشرة أعوام وتغيّرت أحواله بعد الإفراج عنه في عام ٢٠١٠ تمّ انتخابه كرئيس للأوروغواي وحكم البلاد معززاً مكرماً لستّة أعوام.

الانسان حينما تقع المصائب عليه مباشرة يبدأ يلوم ربّه لماذا أنا؟ لماذا لا تتدخل؟ لماذا لا تنزل عقابك على الطغاة وتخلص المستضعفين؟

لماذا هذا السكوت؟ هل أنت راضي على ما ينزل بي؟ وما إلى هناك من شكاوي لا تنتهي من دون أن ينظر إلى الأسباب التي أودت به إلى هذه الكارثة وما دوره فيها؟ هل هو بريء منها، والأغرب انه حينما ينال نعمة من ربه ينعقد لسانه ولا يذكره عند الخيرات والنعم بل ينسبها إلى ذكائه وعظيم حيلته ولا دور لغيره إطلاقاً في حصول هـذه المسـرات له ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[1] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

لا أعلم سبب التفرقة؟ عند الضُر تصعد الشكاوي ولا يكترث بي، وعند الخير أنساه، لم نسي خوسيه ربه حين تولى الرئاسة فهل بقي الرب ساكتاً أيضاً؟ ألا ترى وتسمع نطقه بوضوح بتوليك رئاسة قومك ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾.

إن الضراء والسراء كلّها مـن الله تـعالى تـجري لسـنة تكـوينيّة لا محيص منها وله تعالى حكم ومشيئة مُقدرة من وراء كلّ بـلاء تـرى ان قوماً لابد أن ينزل عليهم البلاء إمّا للتذكير أو الاختبار أو للتكفير والتطهير أو التمحيص أو التدمير أو للاعلاء في الدرجات فكلّ من عند الله بعدله وفضله ومنته على العباد.

---

(١) سورة الروم (٣٠): ٣٣.

(٢) سورة الأعراف (٧): ١٩٠.

حكاية العروسان

تزوّج شابّان عن محبّة ووئام ولم ينكد عيشهما الفقر ولم يـمنعهما الجوع من حب الحياة ولم يقف في وجه سعادتهما الفاقة والعوز.

ومن عادة الزوج الشاب انّه يجيء المسجد ويصلّي، فإذا فرغ من صلاته قام ولم يجلس للتعقيب والدعاء بعد الصلاة فعاتبه، إمام المسجد يوماً وقال: لماذا أنت مسرع في الخروج من المسجد؟ فـامتلأت عـين الشاب من الدمع وقال: أعذرني، ألست تعلم حالي فقد اشـتدّت عـلينا الفاقة حتّى كان لي ولزوجتي ثوب جميل واحد اذا لبسه أحدنا بقي الآخر عرياناً وأنا كنت ألبسه وأجيء المسجد وأُصلّي فأقوم و أذهب إلى البيت فتلبسه زوجتي وتجيء وتصلّي ولا مجال لي أكثر للبقاء فبكى على حاله الحاضرون فجمع الإمام المسجد والمصلّون له مبلغاً من المال لينفقها على عياله، فرح الشاب وجاء بها إلى زوجته وقصّ عليها ما جرى له، فقالت له: أيّها الدوّن لم أظهرت سرّك وأفشيت فقرك وبعت نعمة الفـقر بـمتاع الدنيا؟ فبعزّة ربّي لو لم ترد هذه الدراهم لما كنت زوجـتك يـوماً، إنّـي اخترت محن الدنيا لأن لا تمنعني سعادة العـقبى، فـرجـع الشـاب وردّ الأموال إلى أهلها، فلمّا دخل الليل ونام ومضى شطر مـن اللـيل قـامت المرأة وصلّت ركعات وأيقظت الشاب وقالت قم وتوضّأ، وقالت له قد كنّا نعيش الفقر وكانت الفاقة لنا شيئاً حسناً ولم يكن أحد يطلع على حالنا، والآن قد ظهر حالنا عند الناس فلا أحب الحياة بعد ذلك أُريد أن أسأل الله

أن يقبض روحي هل توافقني في ذلك أم لا؟ وهل للحبيب أن يرد طلب حبيبه.

فسارع الشاب بالموافقة فليس بـمقدور الحـبيب مـفارقة حـبيبته فسجدا ساعة وناجيا الله ولم يتأخّر الله في الاستجابة لهما فقبضهما قبضة العشّاق.

بعد ما نقل المؤمن القصّة الحزينة، وللحزن جماله الخـاص، قـال هناك اختلاف جوهري فيما بيننا يرجع إلى مفهومنا من السعادة؟ ولكلّ منّا نظرته الخاصّة للخير؟ فلهذا اختلف مسيرنا لأن ما ننشده من السعادة وما نعقله من الخير الاسمى متعارض، لذلك أنت تعترض على خالقك ان رأيت شيئاً يكدر صفو سعادتك بما ان مفهومك من السعادة هـو الأكـل والشرب والنكاح فلا يتعدى أُفقك بطنك، فلو دهمك مرض ما لنكد عليك العيش ورأيت الحياة عبثيّة، أمّا الخير الاسمى عندي هـو الخـروج مـن الماديّة والتـحلّي بـصفات الله أُريـد أن التـحق بـالمطلق وأكسـر قـيود المحدوديّة اني التمس السعادة الكاملة وهي مفقودة في طـبيعة الأشـياء المادّيّة، فكلّها خير ناقص، أُريد المنبع الأساسي لكلّ خير وهو الله الخير الأكمل والسعادة الأعلى فلا يمكن أن أبحث عن خـارج ذات الله عـن السعادة والخير لأنّه حائز على الخير الأعظم، أترى نقطة الافتراق بيننا ما أحلاها وأوضحها.

نظرة في كتاب «هذا هو الإنسان لنيتشه»

قرأت كتاب هذا هو الإنسان لزعيم الملاحدة نيتشه جل الكتاب يتحدّث عن معدته وأيّ الأكلات تناسبها وفي أيّ الأجواء يفضل أن يعيشها، أكثر الكتاب موضوعه عن الأكل والشرب مع سيل من الشتائم العنصريّة لألمان لا أعلم سر الخلاف بينهما ولكن (هذا هو الانسان) عند زعيم الملاحدة عبارة عن أكل وشرب وهو يصرح انّه يفضل التحدّث عن الأكل والشرب أن يتحدّث عن الأمور الروحانيّة، لهذا المستوى هبط الملحدون بسبب الظلم ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾[1].

الملحد: لو كان الله حقّاً كما تقول لما وجد الظلم على وجه الأرض أبداً.

فك شفرة الشر

المؤمن: لو أردنا فك شفرة الشر أكثر لتوصلنا إلى أنّ منبع الشر هو حريّة الارادة، فلو سلبت حريّة الارادة لما كان للشر معناه، فهل يصح أن نعيب السكين على قطعها اللحم لأن الشر في قبال الخير، والذي لا يفهم ما هو الخير والشر ولا يعرف السلوك اليهما لا يصح أن يقع موقع المؤاخذة وهل يؤاخذ المجنون على كشف عورته وهل يوجد عاقل في العالم يطالب بانزال أقسى العقوبات على الرمل والحجارة لأن وقوعها

(١) سورة هود (١١): ١٠١.

على رأس أحدهم يسبّب قتله، ومن هذا القبيل قتل الحيوانات بعضها لبعض.

خلق الحيوانات المفترسة:

لعلّ من حكمة الله في خلق الحيوانات المفترسة هو الاتّعاظ والارشاد حتّى يأخذ الانسان العبرة منها ويتجنّب سلوكيّاتها، فعلماء الأخلاق عندما يبدأون بارشاد المبتدئ في سلوك الطريق القويم يأمرونه في البداية بترك الأخلاق السبعيّة وهي حياة التوحش والسبعيّة الموجودة في الحيوانات المفترسة، فينظر الانسان بعين العقل إلى هذه الحيوانات ويرى مدى وحشيتها فيشمئزّ منها ويناجي نفسه عندما يغضب على بني جنسه هل يكون كالسباع الضارية في فتكها بالحيوانات الأليفة، أينقضّ على أخيه الانسان كما تنقضّ الضباع على فريستها وتقطعها ارباً ارباً من دون رحمة وشفقة.

ولا يتوقّف الأمر عند السباع الباسرة بل لينظر الانسان إلى تلك الحيوانات الضعيفة حين هجوم أسد منفرد على قطيع منها تفر الآلاف بين يديه وكان في إمكانها لو اجتمعت عليه لقتلته فوراً، ولكن الجُبن وعدم الاهتمام هو الغالب عليها فليتّعظ منها ويرى عاقبة السوء التي تنتظر الجبناء، ولينظر إلى النمل وحرصه على جمع الطعام حتّى يقضي حياته بأكملها يجمع الطعام ولعلّ العُشر منه يكفي لإشباع الآلاف من النمل، ولكن عجلة الحرص تبقى تدور عند النمل فليتعلّم الانسان ولا يبقى طول

حياته يدور في عجلة الحرص التي لا تتوقف إلّا بعد تـعبه مـن الدوران وهلاكه وما أكثر الآيات في خلق الله.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾(١) انّـها عـلامات لمعاني عظيمة يتدبّرها العقلاء من الناس.

دنيا الآلام

إني أرى الدنيا قائمة على الألم، نظام الدنيا صب في قوالب الألم فلا تستقبلك الراحة وحدها في بيتها بل تجد توأمها الألم لا يفارقها، مـا إن نلت شيئاً من الراحة حتّى تجبرك أن تنال شيئاً من أختها الألم. كلّ الحيل التي يبذلها الانسان حتّى يبعد الألم من بيت محبوبته (الراحة) ليخلو معها ويعيش حياة لذيذة لا يشوبها ما يعكر مزاجه، تخيب آماله فإنّها ماكـرة خبيثة تدعوك إليها وتمنّيك الأماني انّه لا يوجد أحد غيرك قد خـلا لك الجو أقدم إلينا لنتمتع وتذوق الحلاوة من دون مُرّ، فما أن يخدع الانسان ويبذل المستحيل ويميل إليها ويذوق شيئاً من جـمالها حـتّى تـغدر بـه وتتركه مع أختها القبيحة في غرفة مظلمة لا يستطيع الفرار منها، بل لابدّ أن ينام معها ويتجرّع العلقم فيخرج باكياً نادباً حظه التعيس مشتكياً إلى ربّ البيت لماذا صنعت هذه العـجوزة الشـمطاء وجـعلتها قـرينة لتـلك الجميلة الخلّابة؟ فيأتي النداء خلقتها لتؤذيك وتنفرك من أختها الجميلة

---

(١) سورة الغاشية (٨٨): ١٧.

لتترك بيت الخراب وتتوجّه إلى دار البقاء الذي لا يكدر صفوه شيء بل لا تجد هناك إلّا السلام والطمأنينة، ولا تطمئن إلى زينة الدنيا فانّها « **غرض الاسقام ورهينة الأيّام ورمية المصائب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا وأسير الموت وحليف الهموم وقرين الأحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات** »[1].

الخلاصة: إنّ الله خلق البلايا والمصائب ليجعلك تكره الدنيا ولا يتعلّق قلبك بها.

حريّة الارادة

انّ كلّ انسان له عقل يميز ما بين الخير والشر ويعرف الفرق ما بين الصالح والطالح (بغضّ النظر عن ماهيّة الخير والصلاح) ويختار الطريق الذي يوصله إلى غرضه حينها يصح أن نطلق عليه أنّه حر الارادة.

الملحد: لي اعتراض صارخ على حريّة الارادة اعتقد انّها خرافة الفردوس الأصلي لتعاقبوا المجرمين وتلعبون دور الإله فوق الأرض.

المؤمن: أتريد أن يفلت المجرمون عن العقاب! أتشكّ في انزال أقسى العقوبات على مغتصب الأطفال.

الملحد: أنت تعتبر مغتصب الأطفال حراً في أفعاله، أما أنا وبالنيابة عن كلّ الزنادقة في الأرض أعلن بكلّ جرأة لا يجوز معاقبة

---

(١) نهج البلاغة، ص ١١٠.

مغتصب الأطفال لأنّه مجبور على أن يدخل الطفل الصغير إلى جحيم الجنس ويمارس معه أبشع أنواع الرذائل لأنّه ببساطته، والمغتصب يعاني من مرض يؤلمه وله ميول للتحرش بالأطفال فليس بيده حيلة بل أنتم قساة القلوب تعرضون هذا المسكين المظلوم للعنف الإجرامي وتحبسونه في زنزانة لا يمكن أن يخرج منها متى شاء.

المؤمن: ان الآلام التي يعاني منها ضحايا العنف الجنسي التي أصابتهم في الطفولة يصعب بل في بعض الأحيان يستحيل الشفاء منها.

واني استغرب من الملاحدة كيف أداروا ظهورهم لهذه البديهيّة الناصعة، أيمكن لعاقل أن ينكر انه مختار في أفعاله؟ وهذا ما نجده بالوجدان عندنا لا حاجة إلى برهان ودليل، ولكن يقل اندهاشي منهم بعد أن أتذكر انهم أنكروا ما هو أبده من ذلك، أنكروا وجود الخالق العظيم ومن هنا ارتكبوا فظائع منكرة في حقّ العلم وأنكروا البديهيّات واحدة تلو الاخرى، على كلّ حال لا يمكن لنا بأيّ حال انكار حريّة الارادة عند الانسان، من جهة أخرى هذا الانسان الحر وضع في عالم مادي قائم على التنافس وفيه أدوات يصلح أن يستخدمها في الخير ويصنع النور، وبما ان العالم مادي قائم على ثنائيّة التضاد يمكن له أن يهبط بهذه الأدوات إلى أسفل القاع وينحدر إلى درجة سافلة من الانحطاط ويستعملها في الشر.

ومن جهة أخرى إنّ الانسان جبل على حب الخير ولا أعتقد بوجود أي صفة شريرة في فطرة الانسان وأقصد الحسد والقتل والطمع إنّما نشأت هذه الصفات عند الانسان بالتعلّم الخاطئ حينما علم ان الخير

مثاله الأعلى في الجنس أو الذهب أو السلطنة وكلّ هذه الأُمور التي هي خير ناقص أو بالأحرى ان الانسان عندما يبحث عن الخير ويجد هـذه الأُمور أمامه فهو يسعى إليها غافلاً عن انها خير بذاتها فلو وجدت في يد الغير تبقى على حُسنها وليس معنى انّها خير لأنّها مملوكة في يدك بالذات بل لو حصلت في يد غيرك انها تكون خيراً من هنا ينشأ الحسد والطمع ويتولد عنده الشر ويريد أن يستولي على ما للغير مـن خـيرات نـاقصة جاهلاً بل أعمى عن ان الخير لابدّ أن يكون أبديّاً لا يُسلب فهو لا يبصر أن يحقق الخير في ذاته وتكون ذاته هي الخير لا أن يبحث في خـارج ذاته عن أشياء لو تعمقت في كلّ واحدة منها تراها ناقصة عن ايفاء لحاجة الإنسان واشباع رغباته الذاتيّة ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَـبْلُغَ الْـجِبَالَ طُولًا﴾[1].

فلهذا تحدث النزاعـات الدامـية بـين البشـر لأجـل بـريق الذهب والجواهر غافلين عن بريق ذواتهم لو صقلوها وجعلوها مرآة لتجلي الله الخير الأسمى فيها.

إذن من هو المقصّر؟ ومن هو الجاني؟ لنقدمه ونقضي عليه، هـل الادوات الماديّة من التراب والماء والهواء والنار هي سبب الشـرور فـي العالم؟ لأنّ الانسان لا يقتل إلّا بواسطتها، فلو قضينا عليها هـل نـقضي على الشر أو نقضي على ما يمدنا بالحياة؟ أم نأتي بالانسان ونخنقه فهو أُسّ البلاء فلا يطأ قدمه إلّا على موضع الشر وبالتالي ننفي البشرية فكما

(١) سورة الإسراء (١٧): ٣٧.

قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[1] ونكون كمجانين جماعة قتل الرحيم نرفع شعار انقذ الكوكب واقتل نفسك أم نضع يدنا على الجرح وهو الجهل ونعالجه، كلّ البلايا التي تنزل على الانسان هي من جراء جهله، انه يقع في الحفرة الى حفرها بنفسه ويحفر عميقاً بحيث لا يصل إليه الضوء ويعيش في ظلام دامس، وكلّ من يمدّ يد المساعدة إليه لا يقبل به، بل يرى السعادة أن يعيش كالديدان، إن اختياره الثروة والسلطة هو ما جلب الشرور إلى العالم.

فكلّ شر يقع في الدنيا علّته اختيار الانسان للناقص على الكامل اذن لا يوجد شر مطلق في الدنيا وإنّما كلّ ما موجود هو خير ولكن الانسان باختياره الخاطئ يحول ما هو خير إلى مسخ الشر فانّ التسلّط والحكم أمر خير لو وقع بيد الأخيار واستعمل لايصال الاحسان إلى الناس.

والثروة أمر جيّد لو أنفقت على التعاون بين الناس وارجع أؤكّد مع ما فيها من الخير فهو قليل زائل، فما يحصل لك منها من شيء إلّا حينما يفقد عند الآخر.

قصّة فقر ملّا عبّاس

قيل إن ملّا عباس سيبويه من علماء النجف الأشرف كان ذو نفس

---

(١) سورة البقرة (٢): ٣٠.

أبية فرغم الفقر المدقع لم يطلب من التجار وغيرهم ما يسد به رمقه بـل كان يجوب أزقة المدينة في جنح الليل ليجمع قشور البطيخ وغيرها ليسد بها جوعه، ولما عرض عليه أحد العلماء الزواج من كريمته اعتذر مـنه لأنّه صفر اليدين، وبعد الإصرار تزوّج ولم يكن لديه مال ولا أثاث فـلم يستطع حبس دموعه التي انهمرت على خدّيه حينما وجد مهر زواجه أقل من مهر السنّة.

وفي الجانب الآخر من مدينة النجف يذهب السيّد مـحمّد حسـين الطهراني إلى زيارة استاذه السيّد جمال الدين الگلبايگاني ويندهش مـن حالة العوز والفاقة التي يعيشها استاذه فبيته كأنّه صحراء جرداء لا يملك من الدنيا إلّا الأقل وعندما يرى الأستاذ علامات الاندهاش عند تلميذه أثار إعجابه بكلمة رائعة يقول: ان مع ما تلاحظ عليه من الفقر فاني في غاية السعادة ولا توصف سعادتي لأنّي أعيش مع الله.

نعم ان اختيار الانسان هو ما يجلب الشر فكم مـن دمـاء ابـتلعتها الأرض كارهة من المعارك العبثيّة التي خاضها الطـواغـيت؟ وكـم مـن حروب جرت من أجل زيادة الثروات الماديّة؟

الجهاد والقتال في الإسلام

الملحد: على مهلك هنا سوف أصيبك في المقتل، صدري مملوءة بالحقد عليكم وبالذات هذه النقطة تقدح النيران في فؤادي أنتم أصحاب السيف ودعاة جئناكم بالذبح يا من قتلتم ملايين البشر باسم الإله.

المؤمن: هؤلاء لا يمثلون الدين النقي.

الملحد: يقع على الأرض من فرط الضحك ما ان اضع اصبعي على أحدكم حتى يصرخ انه لا يمثل الدين الصحيح ظاهراً الكلّ لا يمثل الدين.

المؤمن: طيب ما قولك في المسيحيّة فلا أحد ينكر أن في نشأتها الأولى كانت من دعاة السلم والحب.

الملحد: ولكن ما إن استلمت السلطة حتى نكلت بأعدائها أشد من النكال الذي نالته على يد الوثنيين، الدين والدم توأمان بل الدين سبب التفرقة والقتل في العالم ولولاه لكان الناس كلّهم أخوة ويعيشون في سلام دائم، فإنّ البلاء نزل على رؤوسنا حينما بدأ الرجال بالتنبؤ وادعاء نزول الوحي عليهم.

نظريّة الداروينيّة وتبريرها للعنف

المؤمن: سوف أُسدّد لك سهماً سامّاً وهبه لي قديسكم الأكبر (داروين) حيث يعتقد أصحاب نظريّة التطوّر المضحكة: كلّ واحد منّا يملك ثلاثة عقول وليس عقلاً واحداً فقط في الطبقة الاعمق من المادة الرمادية من دماغنا نمتلك عقلاً قديماً ورثناه عن الزواحف التي كانت تصارع الطين البدائي قبل ٥٠٠ مليون سنة، كان هدف تلك الكائنات هو البقاء فحسب من دون أن نمتلك أي إحساس بالغيريّة، وكانت هذه الكائنات مدفوعة بميكانزمات تحفزها على البحث عن الطعام والعراك

والهرب والتناسل وقد كانت تلك الكائنات مهيأة بشكل كامل للـمنافسة والصـــراع مـن دون رحـمة[١] اذن الديـن بـريء كـبراءة الذئب مـن دم يوسف عليه السلام، بل المسؤول عن الدوافع العدوانيّة عند الانسان تلك المناطق العميقة في أدمغته وهي ما تحرّك الانسان نحو العنف، فما قولك الآن هل الدين سبب العنف أو النظريّة الدارونيّة؟

الملحد: ان المتدينين مجموعة مـن ذوي العـاهات فـي الوجـود ومعطوبي العقل مهووسون بالانتقام ومتعصّبون ولهذا لا أقبل بما نقلته عن داروين، أنتم المجرمون فقط أمّا الملحدون فهم من أظرف وأسلم الناس، ان في القرآن نصوصاً تعطي الحق للمقاتل المسلح صاحب عصابة الرأس الخضراء الخاصّة بالمضحين من أجل القضية والإرهاب هو من حزب الله المدرع بالمتفجّرات.

مشروعيّة المقاومة

المؤمن: لماذا تناقض نفسك، هؤلاء مقاومون للاحتلال الصهيوني وأنت بالذات تعتبر (إن المقاومة أمر مشروع، فالرغبة بدفع جيوش محتلة تفرض لغتها وقوانينها وعاداتها بالقوّة إلى الخارج وتعطي دائماً الشرعيّة للمقاومة والتمرّد والرفض والقتال حتى لو كان عسكريّاً هذا صراع نبيل).

فلم الآن تعيب على المقاومين محاربتهم للصهاينة، وأضف إلى ذلك

(١) حقول الدم، ص٢٣.

وفقاً لاحدى الدراسات فان حزب الله كان مسؤولاً عـن سـبع عـمليّات انتحاريّة بينما كان الحزب السوري القومي الاجتماعي مسؤولاً عن ٢٢ عمليّة انتحاريّة وحزب البعث الاشتراكي عن عشر عمليات[١].

فهذه كلّها تحسب عـليكم أنـتم المـلحدون فأرجـو أن لا تـلحق الشيوعيّة والقوميّة بالدين.

الملحد: هؤلاء لا يمثلون الإلحاد النقي! ففي الوقت الذي تنذر فيه أحداث الحادي عشر من سبتمبر كلّ واحد بأن يختار مـعسكره ضـمن الحرب الدينيّة يمكننا أن لا نقبل الاختيار من بين الديـانات التـوحيديّة الثلاث يمكنك أن تختار إسرائيل اليهوديّة والولايات المتّحدة المسـيحيّة دون أن يجبرك ذلك حتماً أن تصير رفيق درب حركة طالبان.

بعض جرائم الاحزاب العلمانيّة

المؤمن: اني لا أدافع عن الحـركات الارهـابيّة وعـلى الأخـص الفلسطينيّة فانّك تعلم انّهم قتلوا منّا أكثر ممّا قتلوا من الصهاينة، ولكنّي لا يعجبني غض بصرك عن جرائمكم، هل نسيت ما فعل الرئيس اللـيبرالي العلماني الشاذلي بن جديد الذي قمع الجبهة الاسلاميّة وسجن قادتها مع انّهم صعدوا إلى كرسي الرئاسة عن طريق الديمقراطـيّة وبـدأت الحـرب الأهليّة الطاحنة بسبب عـنجهيته واسـتكباره عـن قـبول الخسـارة فـي

(١) حقول الدم، ص٥٢٧.

الانتخابات، أو تريد أن أذكرك بجرائم أتاتورك الذي ألغى نظام الطـرق الصوفيّة وقام بـمصادرة مـمتلكاتهم واسـتولى عـلى الأوقـاف، وأشـنع الأعمال التركية العلمانية هو ما فعله حزب تركيا الفتاة بقتل ما يزيد عن مليون أرمني مسيحي قُتل الرجال والشبان في أماكنهم بينما تـم سـوق النساء والأطفال إلى الصحراء حيث تمّ اغتصابهم وتـجويعهم وتسـميمهم وخنقهم وإطلاق النار عليهم وحرقهم حتى الموت.

وقعت هذه الجرائم التي يندى لها جبين البشرية تحت علم الالحاد تحت صراخ القوميّة حيث يعلن الطبيب محمّد رشيد (لقد جئت إلى هذا العالم كتركي، ولقد وجد الأرمن الخونة لأنفسهم ثغرة فـي صـدر أرض الأجداد إنّهم مـيكروبات خـطيرة أليس واجب الطـبيب أن يـقتل هـذه الميكروبات[1].

وأخيراً هل حقاً تحسب ان الولايات المتّحدة مسيحيّة مع انك تعرف جيداً نظرة الآباء المؤسّسين للدين.

الملحد: انا استنكر أفعال نبي الإسلام ولا أخاف مـن الله وأقـول لربكم ان ما حدث لبني قريظة يذكرني بأساليب داعش، فتفاصيل قـتل الرجال تذكرني بواقعة سبايكر وما حدث مـن سـبي النسـاء والأطـفال يذكرني بما حدث للإيزيديات وأطفالهن، لماذا تستنكرون أفعال أبيبكر البغدادي وهو يطبق أفعال نبيّكم على أرض الواقع، كل الأديان متساوية في العنف وقتل الآخر، فكما أنّ اليهود يفتخرون بسفر شيوع الذي يقول

(١) حقول الدم، ص٢٢١.

لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عـامي فـي الحـقل فـي البـريّة وسقطوا طبعاً بحدّ السيف قتلوا كلّ ما في المدينة من رجل وامـرأة مـن طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف، هذا النص المـقدّس عند اليهود، أمّا أنتم المسلمون فلا تقلون قباحة عنهم حيث يقول كتابكم المقدّس: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[١] أو الآية التي تقول: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[٢].

المؤمن: أحياناً الإنسان الضعيف عقليّاً يصاب بلوثة في عقله من أثر المصائب التي تتوالى في النزول عليه ومن النقم التي ابتلينا بها هـي نقمة داعش التي هي ليست إلّا حفيدة من أحفاد السقيفة، يصاب المـرء بالذهول فاغراً فاه من وحشية هذا التنظيم وما أشد البغض الذي يحملونه للإنسانيّة فلا يلبث المُشاهد لمجازر الدواعش ينتهي منها حتى يـصاب بالكآبة فإن كان ضعيف العقل فلا يشخص الداء بالدقّة بل يبتدع مذاهب غريبة منافية للعقلانيّة تورده المهالك.

يا صاحبي الملحد أنت لست بغريب في زماننا، لو تصفّحت التاريخ لرأيت الدماء حينها تغطي الأرض ومعاركاً دامية ومـجازراً رهـيبة بـين الجماعات البشريّة فتحدث ردة فعل لبـعض مـرهفي الاحسـاس وليس

(١) سورة التوبة (٩): ٢٩.

(٢) سورة التوبة (٩): ١٤.

بمقدورهم تحمل كلّ هذا العنف فينكرون العنف من أساسه ويجدونه غير مبرر بأيّ شكل من الاشكال ولو كان دفاعاً عن النفس ولو كان على حساب هداية الضالّين ونجاة المظلومين من براثن الطغاة، النقطة الأخيرة وهي هداية الضالّين في غاية الأهميّة وهي مفترق طرق لمعرفة الحق من الباطل سنعود إليها قريباً إن شاء الله.

وكذلك تجد أناساً عقولهم في عيونهم يرى الظواهر بين طرفي النزاع يتشابهون كلاهما في اللون والعرق وربما الدين وربما الأخوة وربما ابن وأب فما الفارق أو ما الذي يميز الفريقين عن بعض، دعني أعود قليلاً إلى الماضي لعلي أجد ضالّتي عند أمير الحكمة عليّ بن أبي طالب.

معركة الجمل

عن الأصبغ بن نباتة قال: كنت واقفاً مع أميرالمؤمنين يوم الجمل وجاء رجل حتّى وقف بين يديه فقال: يا أميرالمؤمنين كبّر القوم وكبّرنا وهلّل القوم وهلّلنا وصلّى القوم وصلّينا فعلى ما نقاتلهم؟ فقال أميرالمؤمنين ﷺ: على ما أنزل الله عزّ وجلّ في كتابه، فقال: يا أميرالمؤمنين ليس كلّ ما أنزل الله في كتابه أعلمه فعلّمنيه، فقال ﷺ: ما أنزل الله في سورة البقرة هذه الآية: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا**

﴿اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[1] فنحن الذين آمنّا وهم الذين كفروا[2].

إن آراء صاحبنا (الملحد) سطحيّة للغاية مثله مثل انسان مرّ بجماعة يتقاتلون فيما بينهم وبدل أن يكشف الأسباب والغايات والطرق التي أدت إلى الاختلاف بينهم ليميز الطيّب من الخبيث بل استلقى على قفاه ضاحكاً ساخراً من جميعهم غافلاً أنّه يوماً ما سوف يبتلي بمن يخاصمه ويمرّ عليه أحدهما غير مبال لما يتعرض له يظنّ كما ظنّ صاحبنا سابقاً أنّ كلاهما لا فرق بينهما بما ان كلاهما يستعملان العنف في حل خصومتهم ولكلّ منهما سيف يشبه سيف الآخر ودرعه يشبه درع خصمه وكما ان الجماعة الاولى تقطع رأس خصمها كذلك تفعل الأخرى ما أسهلها من حجّة لتبرير الجُبن والكسل، لو تصفّحت التاريخ لوجدت نماذج كثيرة من هذا النوع عندما بغوا جماعة (لا يمكن في ظروفنا الحالية ذكر أسمائهم) معينين على أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ونكثوا بيعته وخانوا عهده اجتمعوا في البصرة وهجموا على الآمنين من الناس وأخرجوا عامله أي المحافظ في عصرنا بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة بحيث نتفوا لحيته وقتلوا السبابجة ومثّلوا بحكيم بن جبلة من شيعة عليّ عليه السلام وقتلوا رجالاً صالحين ثمّ تتبّعوا منهم من نجا يأخذونهم في كلّ حائط وتحت كلّ رابية ثمّ يأتون بهم فيضربون رقابهم صبراً كلّ هذا يصل لمسامع أبي موسى الأشعري الصحابي العالم والمبجل

---

(١) سورة البقرة (٢): ٢٥٣.

(٢) بحار الأنوار: ٥٥٥/٣٢.

عند أهل السنّة فيصعد المنبر ويقول: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد فجمعنا بعد الفرقة وجعلنا اخواناً متحابين بعد العداوة وحرم علينا دماءنا وأموالنا فاتّقوا الله عباد الله وضعوا أسلحتكم كفوا عن قتال اخوانكم[١].

انها إبر تخديرية تضرب في رؤوس المغفلين حتّى لا يروا الحق وتعمى بصيرتهم وبذلك برزت قاعدة يرفعها عالياً المغسولو أدمغتهم وهي:

(عليّ رضي الله عنه قاتل معاوية رضي الله عنه ويزيد رضي الله عنه قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما).

ويجب أن نكف عمّا شجر بين الصحابة فالقاتل والمقتول في الجنّة وكلاهما على السواسية لا فرق بينهما، لا أدري لعلّ صاحبنا الملحد انطلت عليه هذه الحيلة السخيفة بسهولة فهو يردّد نفس معزوفة الكسالى.

اننا اخوان متحابون ومن سل السيف يقتل به لا فرق بين القاتل والمقتول فأفعالهم متشابهة، ألا ترى كيف يضربان البعض فما الفرق بينهما! على الانسان وإن كان على الحق أن يصمت صمت القبور ولا يحرك ساكناً بل ينتظر حتّى يأتي الجلاد ويقطع رأسه، يجب أن نتأسّى بالمسلمين وعرب بغداد حينما داهمتهم جيوش المغول من كلّ جانب ما ألطفهم؟ وما أظرفهم من الموجودات؟ أُنظر إلى الخليفة انّه لا يحب اراقة الدماء يكره العنف يؤذي السيف أنامله الناعمة عقله يأنف من الخشونة، بل اختار محاربة المغول بالرقص والموسيقى، بالفن نهزم أعداءنا، جلس في قصره غير مبال بالوحشيّة التي تجري في خارج قصره، بل بث رسالة

(١) بحار الأنوار: ٥٠٤/٣٢.

السلام المذهبي للمغول بواسطة انغام الموسيقى على وقع رقـص أقـدام جاريته المحبوبة وشعاره في الحياة: ما أشد تعصبك أيّها المناضل المدافع عن أرضه وعرضه، اترك الخليفة وانظر لحال المسلمين في بـغداد يـجر العشرات منهم مغولي واحد الى الاعدام، ولكنه قد نسي سـيفه فأمـرهم بالجلوس وتبادل الحديث الحلو ويبقون بانتظاره إلى أن يـجيء بسـيفه ليفصل رؤوسهم التي لا تتحمل العنف أبداً، هكذا نبيع الأوطان بـالجملة والتفصيل للمحتلين، وهكذا نفقد هويّتنا الدينيّة ونذوب كالسكر في كأس المُرّ الغربي، ولعلّ هذا ما يفسر عدم تطوع أحد من التيار المدني العلماني في صفوف الحشد الشعبي للدفاع عن العراق.

سر اختلاف الناس

طبقاً للآية الكريمة التي استشهد بها أميرالمؤمنين في التفريق بـين الحق والباطل يظهر وجود خلافين بين الناس الأوّل الذي استوجب نزول الشرائع وارسال الرسل وهو على ما أظن يـرجـع الى المشـاحنات بـين الناس على الموارد الطبيعيّة وأتبعها الهداية الدينيّة.

أمّا تفصيل المورد الأوّل: فان أغلب المؤرّخين يـرجـعون بـدايـة التجاذب بين الناس الى حقبة الزراعة حيث حدث التـنافر بـينهم عـلى الأراضي الخصبة والحقول المنتجة، وبعض المؤرّخين يرجعون ذلك الى الغرائز العدوانيّة الموروثة وغيرها من الأسباب، والأولى كما قال العلامة الطباطبائي في تفسيره هو مدنية الانسان وحاجته إلى الاجتماع، وهـذا

السبب جامع لكلّ ما ذكروه فان اجتماع الناس هـو اجـتماع للأضـداد والأمزجة المتعارضة ومنه يتولّد الحرص والطمع فينتج الخلاف ومن هنا يمكن أن نفهم أحاديث التي توصف آخر الزمان في ظل حكومة الحجّة بن الحسن العسكري (روحي وأرواح العالمين لمقدمه الفداء) وانه سلام الله عليه يرفع جميع المعضلات الاقتصاديّة بين الناس بـتقسيمه ثـروات العالم من الذهب والفضّة وغيرها من المعادن الثمينة بين الناس واخراج الأرض بركاتها وثمراتها بأمره حتى لا يبقى في الأرض جائع مـحتاج، وفي كلّ بيت تتوفر كميّة من المعادن النادرة التي لأجـلها تـقاتلوا فـيما بينهم، أمّا سر ذلك هل هو فقدان قيمتها فالمعادن تكسب ثمنها من ندرتها فإن كانت مستفيضة كالتراب فهل يصبح ثمنها بخصاً، الله أعلم.

والمورد الثاني للخلاف (وهي الهداية الدينيّة) إنّ الانسان الأوّلي أو ما يسمّونه بالبدائي كان يعتريه الخوف والذهول من الحوادث والظواهـر الطبيعيّة وكانت الشمس والقمر مثلاً موضع قداسة بل عـبادة عـنده لمـا يشعر من هيبتها والخوف منها، فأرسلت الرسل لتبيين اخـطاء الانسـان الذي جل اعتماده على الحواس الماديّة، فهو حينما يرى الشمس يستعمل حاسة العين فتمتلئ عينه خشية وخوفاً منها فجاء الرسـل وفـتحوا بـاباً جديداً للمعرفة تتعدّى الحواس الظاهريّة نافذة إلى المعرفة اليقينيّة تخلصه من أوهام الماديّة فانشأت مدرسة العقل والتدبّر والتفكّر وربـط الأشـياء بالأسباب والكشف عن حقيقة الكون وانّه ممكن فقير يحتاج إلى العـلّة وبما ان كلّ ما في الكون من الظهور هو نتاج علّة (مـا) فـينتج انـها لا

تستدعي الخوف والعبوديّة بل هي مسخّرة للانسان ليشغلها في خدمته ويطوعها كرهاً أو طوعاً لتلبي حاجاته، وبذلك فتح الأنبياء والرسل آفاقاً عظيمة للإنسان من خلالها يستطيع أن ينفذ في أقطار السموات والأرض.

هذه صورة موجزة عن الاختلاف الأوّل في الآية، أمّا الاختلاف الثاني الذي حصل بعد نزول الكتب وبعد التبيان للناس فإن لازم البيان أي بيان الحق وتميزه عن الباطل بأن يكشف ويُري للانسان الطريق الصحيح من الخطأ، ولازمه أن يتجنب الانسان السلوك في طريق الباطل ولكن العكس هو الذي وقع، لماذا؟

يقول تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾[1] حينما رأى الملحدون والمعاندون لدعوة الرسل اقبال الناس زرافات إلى الأنبياء ووضعو نير الطاعة في أعناقهم وحصول الحكومة الالهيّة في الأرض وخضوع الجميع للأنبياء اطمعهم ذلك بأن ينزعوا لباس الإلحاد الظاهري وإظهار زي المودّة والمحبّة للرسل ومن وقتها بدأوا ينسجون خيوط النفاق وامتلأت الأسواق بأزياء النفاق على جميع المقاييس المطلوبة.

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «والله ما دخل قلب أحد منهما شيء من الإيمان كانا خداعين مرتابين منافقين»[2].

فالملحد خطته مدروسة تنقسم إلى مرحلتين حسب أهداف الملحد

(١) سورة البقرة (٢): ٢١٣.

(٢) الكافي: ١٢٥/٨.

من دخوله للدين الجديد، فإمّا يدخل الدين لأجل السيادة والتحكّم في أُمور أتباع الديانة ويضع تاج الرئاسة على رأسه فتكون خطته تتمثل في تحريف الدين من ناحية دوام حكومته، والخطّة الأخرى هي التظاهر بالتديّن الافراطي لأجل كسب ثقة أتباع الديانة وغرضه تحريف الدين الجديد عن أهدافه السامية وتدميره من الداخل، والتاريخ قد ذكر أسماءهم ولكن نحن لا نقدر على ذكرها الآن على كلّ حال، لو رجعنا للآية فهي تقول بعد نزول البيّنات ووضع المحجّة البيضاء للناس منهم من آمن واتّبع طريق الهدى ومنهم الملحدون الذين يؤمنون ظاهراً ويكفرون في الباطن، هنا يبدأ فصل جديد في الصراع بين الحق والباطل، والدليل انه يريد المنافقون (وهم الملحدون باطناً) لأن كلمة البينات تعني ان الطريق واضح لمن أراد الهدى فلا اختلاف بين المؤمنين وإنّما هو بين الايمان والالحاد.

الخلاصة: ان الخلاف سنة تكوينيّة في الدنيا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾[1] ولكن الناس اقتتلوا بغياً بينهم، وعلى العاقل أن يتفطن لمواضع البغي ويتجنّبها ويتبع طريق الرشد، أما البغاة فإنّهم لا يضعون يداً على يد ويكتفون بالكلام بل يحاولون بكلّ جهدهم نشر الجور (بزي العدل طبعاً) في العالم ومن هنا تحدث المقارعة بين الحق والباطل، فالأفعال الخارجيّة وإن تشابهت، ولكن الغايات والأسباب تختلف من يقتل لأجل احقاق الحق ومن يقتل لأجل ابطال الحق.

---

(١) سورة البقرة (٢): ٢٥٣.

سبايكر وبنو قريظة قياس مع الفارق

نحمد الله بوجود صور وفيديوهات وشهود احياء يسهل علينا الحكم في مسألة سبايكر وهي أقل تعقيداً من قضيّة بني قريظة لبعدها عنا ودخول عنصر الكذب لأجل الحكومات اللاحقة.

أمّا قضيّة سبايكر فكلّ من يشاهدها وإن كان طفلاً يعرف انه لم يكن معاهدة بين الشيعة وتلك الفئة، بل حرب قائمة على أساس اعتداء صارخ من اخواننا بدأت باعتصامات الأنبار السلميّة! التي رفع فيها علم الدولة الداعشيّة وهتفوا بشعارات جئناكم بالذبح والدعوة لقتل أفراد الجيش، ونحن تنظيم اسمنا القاعدة نقطع الرأس ونقيم الحدود وقادمون يا بغداد حتّى طبقوا الهتافات على أرض الواقع وسقطت بعض المدن بيد الدواعش، وحينما أفتى المرجع الكبير السيّد علي السيستاني حفظه الله بالجهاد الكفائي وهب الشباب لاستجابة الدعوة تحرّكت مجموعة من المتطوّعين تحت امرة الجيش الذي ينخر الفساد في هيكله إلى سبايكر وطبق ما ورد في شهادة الناجين انهم انسحبوا عن المعركة ولم يطلق أحدهم رصاصة بوجه أبناء الخلافة حتّى وان حسبوا من أعداء دولة الخلافة، ولكن القواعد الاسلاميّة تقتضي بعدم قتل المنهزم وكيف ما كان لا يمكن بأيّ حال قياسهم مع يهود بني قريظة الذين أولاً: خانوا ما أبرموه مع رسول الله ﷺ ونكثوا عهدهم، وثانياً: حاولوا اغتيال رسول الله ﷺ وفشلت المحاولة فلا وجه للمقارنة.

الملحد: أراك سكت عن سبي الايـزيديات ولمـاذا لم تـتطرق له أتخجل من هذا الإله يظهر في القرآن كـمحارب لا يـعرف الرحـمة فـي أعمال النبي وأقواله يتمّ المرور على حدّ السيف والاذلال بالرقّ والتعذيب والحرق والنهب أكثر من ممارسة الرحمة، الغـريب ان مـحمّداً نـفسه لم يتميّز في فضائل شهامة وإباء الفرسان فقد قاد الغزوات في المدينة وأخذ السبايا لنفسه والقرآن كتاب التناقضات من جـهة يـدعي الرحـمة ومـن جهة...

المؤمن: لا تخلط المواضيع بعملك هذا تـتشابك المـواضـيع ولا تخرج بفائدة اتركنا نبقى في موضوع الجهاد والسبايا ونرى وجهة نظرك حوله ثم ننتقل الى ادعائك التناقض في القرآن.

الملحد: طيب اقبل قولك ولكن هل لك طـاقة أن تـحتمل النـقد اللّاذع لدينك؟

اذن اسمع ان النبي محمّداً كان يبيد الناس بطريقة مـنتظمة خـلال معاركه التي قادها منذ معركة النخلة أولى معارك الاسلام ولم تكن آيـة ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾[1] لتزعج مقام قارئ القرآن الهنيء، ذلك أن ما يقارب ٢٥٠ آية في القـرآن تـبرر وتشـرع الحـرب المقدّسة الجهاد وهي تكفي لتغرق في بحر النسـيان تـلك الجـملتين أو الثلاث جمل المسالمة والتي تدعو إلى التسامح واحترام الآخر.

والقانون القرآني الذي يحرم القتل وارتكاب الجنح والسـفك بـحق

(١) سورة المائدة (٥): ٣٢.

القريب هو قانون يفصل بشكل حصري عناصر الطائفة: الأمة كما هو الشأن عند اليهود.

المؤمن: طرحت دعاوي كثيرة بالنسبة للجهاد ولكن الآن أركز على النقطة الأخيرة رغم اني حذرتك من خلط الأوراق لأنّها غير مرتبطة بالجهاد.

الملحد: كيف لا تكون مرتبطة به، انها ثمرة ترهات دينك الذي يأمرك بالجهاد والقتل، اريد ابين للأغبياء والمعتوهين اتباع الديانات ان حرمة القتل خاص بأبناء الطائفة فقط، والقتل مشروع للغير بأسماء أخرى كالجهاد والحروب الصليبيّة وشعب الله المختار؟

المؤمن: لكنه غير صحيح وكذب بالنسبة للإسلام، إن الشريعة الإسلاميّة لا تكتفي بتحريم قتل غير المسلم بل تتعداه إلى كلّ أنواع الأذيّة فمن آذى ذميّاً كمن آذى رسول الله صلى الله عليه وآله.

أتباع الديانات الأخرى في المنظار الإسلامي

كان أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب في زمن حكومته يتمشى مع الناس في أزقّة الكوفة ليرى آلام الأمّة بنفسه ويضع الحلول المناسبة لها من دون وجود أي حماية وحرس جمهوري أو فدائي أو سكرتير وحجّاب وروتين اداري عبورها والوصول إلى الرئيس أصعب من الزواج بامرأة ثانية، بل كان يتصدّى بنفسه مباشرة لمشاكل الناس، وأثناء تفقّده للعاصمة الاسلاميّة رأى فقيراً واحداً فقط منزوياً على نفسه يتلوى من

الحرمان ويتألّم من الوحدة وعدم الاهتمام فسأل الإمام عن شأنه فقالوا له بنبرة متعجرفة: يا أمير المؤمنين إنّه رجل نصراني، وبهذا ختموا عليه ختم الخروج من الإنسانيّة فنهرهم أميرالمؤمنين وقال: «استعملتموه حتّى إذا كبر وعجز منعتموه! أنفقوا عليه من بيت المال»[١].

يظهر من الحديث ان المسيحي كان ذميّاً ويسترزق في ظلّ الدولة العلويّة، وبالتالي هي مسؤولة عنه حتّى آخر رمق من حياته في توفير حياة كريمة له.

وبعد انتشار الاسلام كانت تفد وفود من رجالات الأديان المختلفة لمعرفة هذا الدين الجديد، ولم يرو عطشهم خلفاء السقيفة، هذا إذا لم يتعدّوا عليهم بالضرب والشتم، ولعلم بعض الصحابة بجهل الخلفاء كانوا يهدون السائل إلى عين العلم عسى أن يشفي غليلهم ويرتوون من المعين الصافي.

فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أتى رأس اليهود إلى عليّ بن أبي طالب وقال: انّي أُريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ، قال الامام عليه السلام: سل عمّا بدا لك يا أخا اليهود...»[٢].

هذا أدب الحوار مع الآخر ومنه نتعلّم كيفيّة مخاطبة المخالف لنا في الدين ونتأسّى بأميرالمؤمنين في ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[٣] هذا

(١) تهذيب الأحكام: ٢٩٣/٦. ولعلّ الإمام علي عليه السلام هو أوّل مشرع لقانون التقاعد.

(٢) الخصال ٣٧٣/١.

(٣) سورة النحل (١٦): ١٢٥.

الخطاب هو الذي يجذب القلوب إلى الدين وينفر الشرك والالحاد عندهم.

انظر إلى قوله سلام الله عليه: «الناس صنفان إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[١].

هل ترى لهذه المقولة من نظير في هذا العالم الذي تسود فيه مقولة إمّا معنا أو ضدّنا.

كيما تتجلّى الصورة بأجلى معانيها اذكرك حينما بويع ليزيد بن ميسون بالخلافة أمر من ساعته بضرب عنق الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، فأرسل والي المدينة ليلاً بعد أن نامت أعين الناس يطلب منه الحضور فوراً فعلم الإمام انّها مكيدة يريد بها شرّاً فجمع بعضاً من أولاده وأقاربه ودخل إليه وحيداً فريداً مع ان الجلسة أريد بها الدم والثأر، وكانت الشر يتطاير الشر من أعين الوالي ونائبه، وقبل حضور الإمام كان النائب يحث الوالي بضرورة تنفيذ مهمّة القتل في الساعة ولا يتأخّر إلى الصباح، وعندما حضر الإمام الحسين عليه السلام كانت الوجوه مكفهرة وعلائم الشر بادية، مع ذلك الإمام ومن منطلق الأُبوّة للأخيار والأشرار معاً عاتب الوالي ونائبه على القطيعة التي كانت بينهما في الأيّام السابقة، وبكلّ أريحيّة وحب لعدوه يتوجّه إليه بهذه الكلمات المهذبة التي تقطر رأفة ورحمة بالاعداء قبل الأصدقاء قائلاً: الصلة خير من القطيعة والصلح خير

(١) نهج البلاغة.

من الفساد وقد آن لكما أن تجتمعا أصلح الله ذات بينكما(١).

الملحد: لكن لا علاقة لهذا بمن تسمونهم أهل الذمّة!

المؤمن: أجل ولكن أردت أعرفك على سجايا أسياد الدين مع أعدائهم وأدحض كلمتك في جعل الدين وأهله جائرين يضمرون الحقد لكلّ شيء.

الملحد: دعني أسمعك سيرة أسياد الدين التي نقلها أتباعهم ولا اجترئ من نفسي شيئاً، فقد ذكر تلميذ ابن تيميّة الموصوف بالعالم والعلّامة ومن أعلام الإسلام في القرن الثاني عشر ان خليفة رسول الله الصحابي المبشر بالجنّة عمر بن الخطّاب أمر بأن لا يظهر صليب خارج من كنيسة إلّا كُسر على ظهر صاحبه(٢).

المؤمن: كما قال إمام التابعين عامر الشعبي مادحاً الخليفة الثاني: درة عمر أهيب من سيف الحجّاج(٣) الحجّاج المولع بالدماء العاشق لقطع الرقاب لا ينام جفنه إلّا بعد سماعه آهات المظلومين في سجونه فهي السمفونيّة المحبوبة له.

الملحد مقاطعاً: هل تتبرّأ من فاتح الروم وفارس والذي له من الفتوحات ما يعجز القلم عن ذكرها.

المؤمن: أجل له فتوحات كثيرة ولكن للمغول في فتح البلدان نصيب أوفر.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢٦٤/٣.

(٢) الخلاف في أحكام الذمّة: ٢٩٢/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨١/١ و٧٤/١٢.

الملحد: دعني من تعصّبك الطائفي أنتم الشيعة لا تحبون عمر.

المؤمن: التعصّب الطائفي هو قدح الآخر من دون دليل منطقي ومعتبر، أمّا أنا فلم أذكر إلّا ما ورد في مصادر القوم.

الملحد: لا تخرجني عن موضوعي، ما رأيك بمقولة شيخ الإسلام ابن تيميّة؟

المؤمن: من هوان الدنيا أن يسمّى أمثال ابن تيميّة التكفيري شيخ الإسلام.

الملحد: أجل أعرف انكم تكرهونه، ولكن المسلمين اليوم يعتبرونه إماماً لهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة: إنّ أميرالمؤمنين عمر في الصحابة (رضي الله عنهم) ثمّ عامّة الأئمّة من بعده وسائر الفقهاء جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمّة من النصارى وغيرهم فيما شرطوه على أنفسهم أن نقوم للمسلمين من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس.

المؤمن: ما أشبهه بقانون ولاية ألاباما الامريكيّة (العلمانيّة) الذي ينصّ بقيام السود إن أراد البيض الجلوس في مجالسهم.

الملحد: ومنها والكلام لابن تيميّة: أن يجزّوا مقادم رؤوسهم وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم.

المؤمن: وما أشبه بفعل دولة هتلر القوميّة العلمانيّة باليهود حيث أمرهم بوضع شارة صفراء تعلق في ملابسهم لتميزهم عن غيرهم.

وإن كان هتلر أرحم من عمر بن الخطاب حيث لم يأمر بالتشويه

الخلقي لليهود وجز شعورهم من الأمام ليبدوا قبيحي المنظر، مع ان هتلر أحرقهم كما يدعون فلعلّ الخليفة الثاني أرحم منه.

الملحد: وأمّا بالنسبة للذميّات فيقول ابن تيميّة: ان عمر بن الخطاب قال مرو نساء أهل الذمّة أن يعقدن زناراتهن ويرخين نواصيهن ويرفعن عن سوقهن حتى يعرف زيهن من المسلمات. انتهى[١].

مع انك تعلم ان النصرانيّات الملتزمات بدينهنّ يحببن العفاف ويكرهن اظهار أجسادهن في الملأ، وهل هذا إلّا إذلال لا مبرر له أبداً؟

المؤمن: وما عذر دولتكم الفرنسيّة الموقرة رافعة علم العلمانيّة في العالم أقر برلمانها قانون حظر ارتداء النقاب في الأماكن العامّة ويفرض غرامة ماليّة على النساء اللاتي يرتدين النقاب في الأماكن العامّة.

ورأت وزيرة العدل ميشال أليوماري أن اقرار مشروع القانون نجاح لقيم الجمهوريّة الفرنسيّة المتمثلة في الحريّة والمساواة والاخاء والعلمانيّة، وأنت تعلم ان بعض المسلمات يشعرن بالحرج الشديد من إظهار وجوههن في الملأ العام ويحببن الستر ويفضلن عدم نظر الرجال إليهنّ، ولست هنا في مقام تبرير فعل الخليفة فهو لا يقل قباحة عن عمل حكومة فرنسا العلمانيّة وموضع المثل المعروف هنا: من كان بيته من الزجاج فلا يرمي الناس بالحجارة.

وما لي أراكم ترتجفون رعباً من الرموز الدينيّة حتى أصدرتم قانوناً في فرنسا يمنع بموجبه إظهار الرموز الدينيّة في الأماكن العامّة، يعني لو

(١) اقتضاء الصراط: ٧٨٤.

أنّ رجلاً أحب أن يلبس عمامة اسلاميّة أو يضع اليـهودي عـلى رأسـه الكيبا (القبعة الصغيرة) ترتعد فرائصكم منها؟ ما بالكم تفزعون من قطعة قماش؟ أحقاً أنتم أحرار؟ وتدعون المساواة بين الجميع أم مقصودكم من المساواة هي بين الملاحدة والعلمانيين فقط ولا تشمل مـن هـو خـارج دائرتكم الضيقة؟

أهل الكتاب في ظل حكومة العدل

سوف أتلو عليك نصّاً قد سبق زمانه بكثير حين كان العالم تسوده حضارة اليونان المعتمة التي تقسم الناس إلى طبقات مـن سـيد ومـالك ومواطن درجة أولى وإلى عبيد ومواطن درجة ثانية مـن يـوناني وغـير يوناني، وكذلك الأمر في الحضارة الرومانيّة: روماني وغير رومـاني ولا تنسى ان افلاطون على ما أظن كان لا يجيز العبوديّة للإنسان اليوناني، وأمّا غيره فلا بأس به وكأن دم اليوناني ومكوناته الجسدية لها ميزة على غيره في تلك الأجواء حيث الحكومات تعامل الناس على أساس طبقية مقيتة، يخرج من الكوفة عهد لا أدري ما أقول، أعجز عن وصفه وكفاه فخراً انّه لم يستطع أحد لحدّ الان تطبيق بنوده لأن الحق مُرّ والهوى هو الحاكم فمن ذا يطبق العدل على نفسه ولو كان فيه هلاكه؟

انظر إلى ما يوصي به الإمام علي عليه السلام صاحبه مالك الأشتر يـقول: «وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة والمحبّة لهم واللطف بهم ولا تكوننّ عليهم

سَبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[١].

أرى أن يقرأ هذا العهد في زماننا على أقباط مصر بما ان الامام كتب العهد لمالك بن الأشتر حين ولّاه مصر وكانت تعجّ بالأقباط، فساواهم الإمام مع المسلمين في الأُخوّة والرحمة واللطف فكما يرحم المسلم كذلك يرحم القبطي وكذلك يشمل لطفه لكليهما، ولنقلب صفحة مشرقة أخرى من حكومة العدل لنرى انّ الامام يوصي واليه الاخر بعد أن تمكنت يد الغدر والخيانة من اغتيال مالك الأشتر ولّى الامام محمّد بن أبي بكر فأمره بتقوى الله في السر والعلانيّة وخوف الله في المغيب والمشهد وأمره باللين على المسلم والغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمّة وبإنصاف المظلوم وبالشدّة على الظالم وبالعفو عن الناس[٢].

اختفى الجور تماماً في حكومة الامام ولم ينظر إلى أهل الكتاب كدجاجة تبيض الذهب لخزانة الدولة، بل العدل يسود الجميع ولا أحد بإمكانه أخذ درهم واحد بصورة جائرة من كتابي أو غيره ولو كان من أقرب الأقارب للامام عليّ عليه السلام وهو ابن عبّاس، لعلّي لم أجد أحداً يحاسب ناصره في زمن الشدائد ومحبه في زمن كثر مبغضوه وواليه ويده اليمنى لأجل اتباع ديانة أخرى لا يفزعون له في المصاعب ولا يهتمون به ما يحل عليه من الكوارث، أمّا الامام علي عليه السلام فقد خُلق من معدن آخر

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) شرح نهج البلاغة.

وأمّا نحن غارقون في الجهل والظلم، يكتب الإمام رسالة إلى ابن عـمّه عبدالله بن عبّاس بعد ما توالى إلى سمعه وجود فساد اقتصادي في بيت مال البصرة والظلم والحيف على أهل الكتاب في البصرة جاء في الكتاب:

أمّا بعد فإنّه لا يَسَعُني تركُك حتّى تُعلمني ما أخذت من الجزية، من أين أخذته، وما وضعت منها فيم وضعته، فاتّق الله فـيما ائـتمنتك عـليه واسترعيتُك اياه فإنّ المتاع بما أنت رازمُهُ قليل وتـبعاته وبـيلةٌ لا تـبيد والسلام)[1]. أترى شدّة الامام في تقديم الحساب على الأموال التي ملأ خزانة البصرة بها، ولو كان غير الامام حاكـماً لأرسـل رسـائل الشكـر والتقدير لما فعل واليه، أمّا الإمام فـيهمه الحـق والعـدل لا كـيفيّة بـقاء حكومته، فلو سقطت بعد ساعة لما همّه شيء وقد أوصى الامام عـمال الخراج بوصيّة قيمة جاء فيها: ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمس مال أحد من الناس مُصل ولا معاهد...)[2].

وما هي إلّا أعوام بعد استشهاد الإمام وسكان النواحي الشماليّة من بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين من أهـل الكـتاب نـبشوا القـبور وفتشوا في بقايا الأموات بحثاً عن الذهب والفضّة أو أيّ شيء ثمين لدفع الضرائب التي جاء الخليفة أبو جعفر المنصور شخصيّاً يطالب بها[3].

أجل الخليفة أبو جعفر المنصور الذي له تمثال كـبير فـي جـانب

---

(١) أنساب الأشراف: ٣٣١.

(٢) نهج البلاغة: ٥٩/٣.

(٣) الفتوحات العربية: ٢٥١.

الكرخ من بغداد وصرف ٥٠ مليون دينار لأجل طلائه وتلميعه فقط ترددت ما أليق وصفاً لهؤلاء الهمج، ولكن الكارثة التي تنسف العقول نسفاً أن يقاس أمثال هؤلاء الطغاة بسيّد الانسانيّة عليّ بن أبي طالب الذي كاد أن يموت اسفاً على مظلوميّة امرأة يهوديّة سلب ذهبها بيد عمّال معاوية الخامس خلفاء الراشدين عند أخواننا أهل السنّة يتصدّع الامام متألّماً في خطبته: «وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْـمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قُلُبَهَا وَ قَلائِدَهَا وَ رُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَ الِاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ وَ لا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً»(١).

ان عدل علي عليه السلام عام على الجميع فهو كالشمس المشرقة يعم خيرها جميع الكائنات.

الجزية

لنرجع لأمر الجزية فقد هولوا أمرها مع أن المعاهد يتساوى حاله مع المسلم في الدولة الإسلاميّة من حيث ما على عاتقه من حق الدولة عليه في أمواله، فكما يؤخذ من المسلم الزكاة والصدقات والخمس يؤخذ من أخيه الكتابي الجزية، بل لأبناء الأديان الكتابية ميزة على المسلم من

(١) نهج البلاغة.

جهة سقوط وجوب الجهاد والدفاع عن الوطن عنهم، اذهب إلى البلدان الاسلاميّة حيث يعيش فيها جاليات غير مسلمة واطـرح هـذا التسـاؤل للشباب أهل الكتاب وقل لهم: لو خيّرتم بين سحبكم من مأواكم الآمن وجركم من لذة العيش إلى شر القتال وكره إراقة الدماء في سبيل الدفاع عن بلد أغلبيّته مسلمة أو الهجوم على بلد أغلبيّته مـن ديـانتكم؟ هـل تقبلون بذلك؟ ومع ان أغلب الحروب إن لم تكن كلّها قائمة على مصالح اقتصاديّة للأثرياء ومن المجتمع أو تجري أثر خبال يدور في عقل القائد هل تودون الانضمام إلى مغامرة بائسة قاتلة للأحلام أو تكـون الحـرب دينية أم تبقون آمنين في بيوتكم تدفعون الجزية؟

الملحد: وما يدريك أنّ الوطنيّة عند من تسميهم بأهل الكتاب أكثر من غيرهم، ولعلّ شاب ما أراد الالتحاق بالجيش أُسوة بإخوانه المسلمين فما قولك فيها؟

المـؤمن: يـصعب تـصديق ذلك، أقـصد أن يـترك شـاب جـميع طموحاته ويلتحق لحرب طاحنة على الأكثر لا قيمة لها عنده، ولكن لو فرضنا وجود أمثال هؤلاء فقد تسقط الجزية عنهم كما حكم الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام حيث قال: «وما استعين به من أهل الذمّـة عـلى حرب المشركين طرحت عنه الجزية».

والجزية معناها اعطاء الحريّة للأديان الأخرى بممارسة شـعائرها وهذا لم يكن في السابق، والاسلام أوّل من سمح لباقي الأديان بممارسة طقوسها بكل أريحية من دون وجود حاكم تفتيش وقتل على الهويّة وهي

تفرض على الرجال الاصحاء فقط ومرفوعة عن النساء والولدان والأعمى والشيخ الفاني والمقعد والفقير[١].

بل هي ساقطة من بَعد دولة محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وليّ الله ولا يوجد بَعد دولة الحق جزية وانتهى أمدها لأنّه توجد عندنا روايتين الرواية الأولى تقول إن مستحق عطاء الجزية هم المجاهدون[٢] ولا جهاد اليوم ونأتي إليه قريباً.

والرواية الأخرى تحدّد المستحق لها بالمهاجرين[٣].

وقد ماتوا واندثروا منذ أمد بعيد وحتى في ذلك الوقت لم تؤخذ إلّا بالعفو، كما أوصى الإمام عليّ عليه السلام واليه على بانقيا في قوله: «إِيَّاكَ أَنْ تَضْرِبَ مُسْلِماً أَوْ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً فِي دِرْهَمِ خَرَاجٍ أَوْ تَبِيعَ دَابَّةَ عَمَلٍ فِي دِرْهَمٍ فَإِنَّمَا أُمِرْنَا أَنْ نَأْخُذَ مِنْهُمُ الْعَفْوَ»[٤].

كانوا عليهم السلام يتحرجون في درهم واحد وهو لا يعد شيئاً فكيف بمبالغ عظيمة ومال يعتدّ به.

الملحد: أراك تحاول خداعي أتظنني بهذه السذاجة ما لك لا تذكر كلمة الصاغرين إن كان الإسلام بهذه الرحمة واللطافة بأهل الكتاب ولا يريد أن يقعوا ضحايا حروب المسلمين ويؤخذ بدل الجندية الجزية منهم

---

(١) الاشكال والقران في المحاسن: ٣٢٨؛ الكافي: ٤٣/٥.

(٢) دعائم الإسلام: ٣٣٠؛ من لا يحضره الفقيه: ٥٣/٢.

(٣) الكافي: ٦٨٠/٣؛ تهذيب الأحكام: ١١٨/٤.

(٤) الكافي: ٥٤٠/٣.

فما باله يأخذها وهم صاغرون؟

المؤمن: وضعت يدك على الجرح، سوف أرسم ملامح الجهاد بصورة واضحة لتدرك من خلالها الحكمة من وراء كلمة (صاغرون).

الحكمة من تشريع الجهاد

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[1] إن كان الجهاد كما تصوّره يا ملحد بأنّه عبارة عن غنائم وجواري وفتح بلدان فلم كره ذلك الصحابة حتّى وصل كرههم عنان السماء ونزلت آية لتقريعهم؟

لو تدرك مسألة الجهاد بصورة موضوعيّة وبالنظر إلى واقعها لعرفت إنّما شُرعت لأجل الكافرين والمنافقين فإنّ الله سبحانه وتعالى ليس إلهاً للمؤمنين فقط بل هو إله لجميع البشر، وكما يحبّ المؤمن يحبّ الكافر أيضاً وهو أرحم للكافر من أُمّه ويريد الله الخير إلى الكافر أكثر من حب الكافر لنفسه، فلهذا أمر عبده المؤمن الآمن في دياره والمطمئن في بيته أن يترك الزوجة والأهل والأولاد والأموال ويخاطر بنفسه ويوقعها في المخاطر لأجل هداية عبده الكافر، أما القتال لا يشكّ أحد أنّ فيه هلاك كثير من النفوس، فالمؤمن يعرض أولاده لليتم ويرث أمواله وزوجته بيد غريب إمّا يرحمهم أو يسوءهم سوء العذاب، فمن يعرف ما يجري من بعد موته على أولاده وزوجته هل يتمكّنوا من تدبير أنفسهم؟ أو سيجدون

---

(١) سورة البقرة (٢): ٢١٦.

الرحمة على قارعة الطريق أو يرث كلّ ذلك انسان هو عدو لهم فيكون هو المتسلط على زوجته وأولاده مجرّد التفكير في ذلك يـدخل الرعب والكراهيّة للقتال عند الانسان، فاعرف مدى معزة الكـافر عـند الله الذي يأمر عبده المؤمن بالتضحية بالنفس والمال في سبيل ذلك العبد الضال.

حينما قرّر أبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام الجهاد في سبيل الله وأخذ طريق الكوفة الجميع لامه على ذلك وتعجّب من فعله! لما يترك أمـواله وبساتينه ويفدي نفسه الغالية لأجل قوم عُرفوا بـالشقاق والنـفاق حـتى الصحابي الجليل ابن عبّاس المعروف بين العوام بحبر الأُمّة وقف فاغرا فاه أمام الإمام الحسين عليه السلام، فبعد اللتي واللتيا قال له: إن كنت عـازماً عـلى الجهاد فلماذا تأخذ النساء معك؟ وأجابه الإمام: شاء الله أن يراهنّ سبايا، شاء الله أن يضحّي بأطيب الناس وأعلاهم شأناً في سبيل هدايـة أدنـى شأناً، شاء الله أن يذبح عبدالله الرضيع من الوريد إلى الوريد ليكون مناراً مضيئاً في الظلمات يهدي الأحرار إلى سواء السبيل، وشاء الله أن يـقدم الإمام الحسين أمثال عليّ الأكبر والعبّاس ومسلم بن عـقيل عليه السلام عـمالقة الدين وأعمدة الايمان في سبيل هداية الناس، فكم من مـهتدي وتـائب وثائر أنير دربهم في طول الألف وأربعمائة عام، وتبقى سفينة الحسين عليه السلام شامخة في تلاطم أمواج الفتن تُنجي من ركبها وتنقذ من تمسّك بها، كلّ هذه البركات التي تحلّ كلّ عاشوراء على الشيعة وغيرهم تأتي من جهاد الحسين عليه السلام وتضحيته بكلّ ما يملك في سبيل الله بل ان كلّ لحظات السنة تفيض بالخيرات على الناس من مشربه الصافي.

الملحد: إن كنتم تشعون محبّة ورحمة على الناس فلم تقتلوهم؟ وهل الجهاد يتناسب مع الرحمة أليس هذا جمع بين المتناقضين؟

المؤمن: الناس على أصناف مختلفة حسب ظروفهم الخاصّة الداخليّة والخارجيّة، وأقصد من الداخليّة العناصر التي تركبت في ذات الانسان من جراء تربية والديه والتعليم الذي لاقاه من مجتمعه، وأمّا الخارجيّة هي العناصر الأجنبيّة عن تكوين شخصيّة الانسان وليس لها مدخل في صفات وأفكار الانسان، وإنّما تؤثر على طريقة تصرّفه واعتقاده مع الناس كالغنى والفقر فله مدخليّة مباشرة في اتّخاذ بعض الناس آراءهم تجاه قضيّة معيّنة.

على كلّ حال الناس في قبول الحق على درجات متفاوتة منهم إن عرض عليه الحق على المحجّة البيضاء يقبله من دون تردّد، بل البعض الذي يعيش في عقيدة باطلة وبين ظهراني مجتمع فاسد بفطرته السليمة وطبعه المعتدل يرفض في باطنه الباطل ويبحث عن الحق وإن لم يعرض عليه بل يبقى يدور عليه حتّى يعثر عليه، وهناك فئة أُخرى لو نزلت ملائكة الله بأنفسهم عليه أو تكلّم الإله معه مباشرة ورأى الحق عياناً لا لبس فيه مع ذلك يعاند ويصر على الاستكبار، فلو راجعت التاريخ الديني لرأيت معاجز باهرة، يكفي مقدار شعرة منها للانسان المنصف، ترى إن الرسول ﷺ يشقّ لهم القمر نصفين أو يشقّ الشجرة إلى نصفين ويأتي النصف راجلاً إليهم ثمّ يعود إلى مكانه ويأتي الشق الثاني ماشياً ويتكلّم معهم، مع ذلك يأبون عن اتباع الحق، وهل يوجد نموذج يصرخ

بالاستكبار والعصيان رغم انكشاف الحق له، أكثر تيه وتغطرس من ابليس، كان يرى الآيات الحقّة بعينيه ويتسامر مع الملائكة بل يتكلّم مع ربّ السماوات والأرض مع ذلك شمخ بأنفه والتحف بجلباب الكبر، حقاً ما العمل مع أمثال هؤلاء؟ على الأخص إن كان زمام أُمور الناس بأيديهم وهم أهل الحل والعقد في الدولة فيسوقون الناس نحو الهاوية ويمنعون من ايصال صوت الهداية إليهم بإعلامهم المزيف واظهار الباطل والتشجيع عليه بطرق ملتوية تنطلي على الأذكياء، فكيف بغيرهم حينما يكون للحق دولة ومهمته الملقاة عليه هي هداية الناس إلى الصراط المستقيم ويقف في وجهه المعاندون والمستكبرون ويضعون أيديهم في آذان الناس ويسدلون الغشاوة على أعينهم فلا يبقى فيها إلّا القوّة لإزالتهم.

رأي الشيعة في الجهاد

ان الشيعة ترفض رفضاً قاطعاً كلّ أنواع ما يسمّى بالجهاد في ظل غياب خليفة الله على الأرض، فالتشيع يدور مدار (حجّة الله) وتسلم نفسها طواعية لأمره وليس لها من أمرها شيء من دون الإمام، التشيع يعني الولاية يعني الطاعة المطلقة للإمام، ولهذا تمنع منعاً باتاً من الجهاد الابتدائي وهو استعمال العنف لأجل هداية الآخرين، والسر في ذلك ان الجهاد كما ألمحنا في ذلك شُرع لغاية معينة وهي حبّ الله لعباده العاصين، إذن وكما هو معلوم من سيرة أهل البيت عليهم السلام لا يقام الجهاد إلّا بعد اقامة

الحجّة البيّنة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ﴾[1] وتعتقد الشيعة بخلاف الآخرين ان الحجّة الناصعة التي لا تبقي مفراً للكافر تتحقّق بشخص الإمام من أهل بيت العصمة فقط، وكلّ ما عدا ذلك يبقى حجّة ناقصة لا تعطي المشروعيّة لاستعمال العنف وإزاحة الموانع العنيدة من طريق الحق، ويبقى علينا الدعوة إلى الله بالإحسان واللين لا غير، والشاهد على ادعائي أخبار آخر الزمان ومواصفات ما يجري من حوادث، نرى ان الحجّة قائمة على الناس لا يمكن لأيّ كان انكارها، هو الحجّة بن الحسن العسكري خليفة الله في الأرض، وقد روي عن رسول الله ﷺ انّه قال: «يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها ملك يُنادي هذا خليفة الله المهدي فاتّبعوه».

وعن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في وصف الإمام المهدي عليه السلام: «هو الذي تطوىٰ له الأرض ولا يكون له ظل وهو الذي ينادي منادٍ من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء له يقول: ألا انّ حجّة الله قد ظهر عند بيت الله فاتّبعوه فإنّ الحق فيه ومعه وهو قول الله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾.

وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم عند انفجار الصبح...».

وعشرات الروايات الاخر تبيّن لنا بصورة واضحة الدلالة على أنّ أمر الامامة لا يخفى على أحد وإن الحجّة تتمّ على الجميع.

---

(١) سورة النساء (٤): ١٦٥.

وفي رواية عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « **العلم سبعة وعشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتّى اليوم غير حرفين، فاذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس وضمّ إليها حرفين حتّى يبثّها سبعة وعشرين حرفاً** ». فلا يقتصر الأمر على العوام بل يعمّ العلماء والعباقرة، فالإمام هو إمام لكلّ طبقات الناس وأولى بهم من أنفسهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه** ».

الملحد: ولكن ألا تعتبر كتابكم القرآن وسيرة أئمّتكم بحجّة هل تنقص منهما؟

المؤمن: لا انتقص منهما ولا أقول انّهما ليسا بحجّة بالغة بل الذي أدّعيه هو هذا الذي وصل إلينا في روايات أهل البيت وليس بادعائي إنّ القرآن الكريم والسنّة لا يكفيان لشن حروب جهاديّة حيث ان الحجّة لا تتمّ على الكافر بهما، والسبب فيما أرى ان العوام من الكفار لا يمكن أن يصلوا لليقين من وراء عرض القرآن عليهم بل يؤمنون عند رؤية معجزة باهرة، فإن المعاجز والأمور الخارقة للعادة هي التي تسلب لب عقولهم وتجعلهم طوع أمر النبي أو الوصي وبها تتمّ سد جميع منافذ الهروب عليهم، ومن جهة أُخرى أقول: انّه لم أر لحد الآن من العلماء من هو محيط احاطة شاملة بالقرآن والسنّة، فبالتالي تكون حجّته مهما بلغت يعتريها النقص ولا تخلو من اشكال وهذا اجماع الإماميّة وما عليه الطائفة ولا يعتدّ بالشاذ الذي هو محل شبهة وتفصيل القضيّة محلها ليس هنا.

لنرجع إلى ١٤٠٠ سنة حتّى ننتهي من مسألة (صاغرون) حين جاء وفد نصارى نجران إلى رسول الله ﷺ وبعد المناظرة لم يرضخ النـصارى للحق فتحدّوا الرسول بالمباهلة فاستجاب رسول الله ﷺ لطلبهم، ولما رأوا أمارات الهلاك طأطأوا رؤوسهم وهربوا من المباهلة، ولكن مع ذلك بقوا مصرّين على عنادهم ولم يرتضوا الاسلام ديناً حينها ترأف بحالهم رسول الله ﷺ وطلب منهم الجزية في قبال الخدمات التي تعطى لهم فـي الدولة المحمّديّة ويعطوها وهم صاغرون لأجل عنادهم واستكبارهم عن قبول الحق فإن آخر الدواء الكي بعد أن أقام عليهم البرهان العقلي والحسي ولم يجعل لهم ينفذون إليه، فما بـقي أمـامهم إلّا طـريق التسـليم والايـمان وتجبروا عن قبول الحق والمتكبّر الجاهل يجب أن يذلّ ليرى الواقع حتّى تتبخر من رأسه أوهام العظمة الزائفة، كلّ ذلك رأفة بـه عسـى أن يـرى الحق فيتبعه.

شروط الجهاد في الإسلام

من وصيّة الإمام عـليّ عليه السلام لعسكـره بـصفّين قـبل لقـاء العـدو: **لا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى حُجَّةٍ وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللهِ فَلا تَـقْتُلُوا مُدْبِراً وَلا تُصِيبُوا مُعْوِراً وَلا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَلا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ**

إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

الكلّ أمام عدالة الله متساوون سواء كنت نبيّاً أو كافراً

ولقد نهى رسول الله ﷺ عن تعذيب الأسرى، يقول المؤرّخ الكبير محمّد بن عمر الواقدي: ولما أسر سهيل بن عمرو قال عمر بن الخطاب يا رسول الله انزع ثنيتيه يدلع لسانه (أي يكسر أسنانه الأربعة التي مقدّم الفم ثنتان من فوق وثنتان من تحت فلا يحسن الكلام) فلا يقوم عليك خطيباً أبداً فقال رسول الله ﷺ: لا أمثّل به فيمثّل الله بي وإن كنت نبيّاً[١].

انظر إلى عدالة الله تعالى التي لا تفرق بين رسوله المصطفى ﷺ على الخلق وبين كافر حربي معاند، فلو تخطى أفضل خلق الله حدوده وتجاوز على أرذل خلقه لما غفر الله له تلك الخطيئة، إنها حقاً شيء مدهش ويبعث على التفكير والتأمّل.

وبعد معركة أُحد والخسارة الفادحة التي مُني بها المسلمون لما رجع باقي الجيش إلى المدينة وتعلوه أمارات الانكسار والهزيمة جعل ابن أُبيّ والمنافقون معه يشمتون ويظهرون السرور بما أصاب المسلمين ويظهرون أقبح القول، وأظهرت اليهود القول السيء وقالوا: ما محمّد إلّا طالب ملك ما اصيب هكذا نبي قط في بدنه وأصيب في أصحابه، وأعلن المنافقون

---

(١) المغازي: ٣٩/١.

العصيان المدني وأرادوا أن يحولوا الهزيمة إلى انـقلاب عسكـري عـلى رسول الله ﷺ فبدأ المنافقون يخذلون عن رسول الله أصحابه ويأمرونهم بالتفرّق عنه حتّى سمع عمر بن الخطاب ذلك في اماكن شتى فمشى إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في قتل من سمع ذلك منهم من اليهود والمنافقين، فقال له رسول الله ﷺ: يا عمر إن الله مظهر دينه ومعز نبيّه ولليهود ذمة فلا أقتلهم قال: فهؤلاء المنافقون يا رسول الله يقولون، فقال: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: بلى وإنما يفعلون تعوذاً من السيف، و قد بان لنا أمرهم وأبدى الله أضغانهم عند هذه النكبة، فقال: إني نهيت عن قتل من قال لا إله إلا الله محمّد رسول الله، يا ابن الخطاب إن قريشاً لن ينالوا ما نالوا منّا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن.

الملحد: على مهلك أنت تتكلّم بنصف الحقائق انتظر مـني حـتّى اخرج لك كتاباً من علمائكم المسـلمين وأقـرأه عـليك هـاهو ذا كـتاب (وامحمّداه) تأليف سيّد بن حسين العفاني الواعظ المؤلّف المصري.

يقول الداعي السلفي مفتخراً بـخليفة رسـول الله: نـقلت الأخـبار للخليفة في امرأتين من بلاد حضرموت تغنتا بهجاء رسول الله والمسلمين وكان قد عاقبهما المهاجر بن أبي أميّة والي تلك البلاد بقطع أيديهما ونزع ثنيتهما فلم يرض أبوبكر وعدها عقوبة خفيفة في حق هاتين المجرمتين وقد وجه إليه كتاباً بهذا الخصوص(١) أليس هذا خليفة نبيكم؟

المؤمن: معلوماتك ليست دقيقة اخواننا أهل السنّة عقيدتهم مبتنية

---

(١) ٢/٤٠٦.

ان رسول الله ﷺ نسى وسهى ولم يعين أحداً للخلافة وترك الأمر للأمّة تختار ما شاءت فهو خليفة الأمّة وبعض الصحابة ولكن لرسول الله رأي آخر كما نقلت إليك.

وصيّة أميرالمؤمنين عليه السلام في قاتله

ووصيّة أميرالمؤمنين عليه السلام حينما فلق هامته عبدالرحمن بن ملجم ووقع بيد أصحابه أسيراً أوصى ابنه الإمام الحسن عليه السلام بهذه الوصيّة في قاتله: « **ارْفُقْ يَا وَلَدِي بِأَسِيرِكَ وَارْحَمْهُ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِ وَأَشْفِقْ عَلَيْهِ أَلَا تَرَى إِلَى عَيْنَيْهِ قَدْ طَارَتَا فِي أُمِّ رَأْسِهِ وَقَلْبُهُ يَرْجُفُ خَوْفاً وَرُعْباً وَفَزَعاً فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ عليه السلام : يَا أَبَاهْ قَدْ قَتَلَكَ هَذَا اللَّعِينُ الْفَاجِرُ وَأَفْجَعَنَا فِيكَ وَأَنْتَ تَأْمُرُنَا بِالرِّفْقِ بِهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ يَا بُنَيَّ نَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ لا نَزْدَادُ عَلَى الْمُذْنِبِ إِلَيْنَا إِلّا كَرَماً وَعَفْواً وَالرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ مِنْ شِيمَتِنَا لا مِنْ شِيمَتِهِ بِحَقِّي عَلَيْكَ فَأَطْعِمْهُ يَا بُنَيَّ مِمَّا تَأْكُلُهُ وَاسْقِهِ مِمَّا تَشْرَبُ وَلا تُقَيِّدْ لَهُ قَدَماً وَلا تَغُلَّ لَهُ يَداً فَإِنْ أَنَا مِتُّ فَاقْتَصَّ مِنْهُ بِأَنْ تَقْتُلَهُ وَتَضْرِبَهُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً وَتُحْرِقَهُ بِالنَّارِ وَلا تُمَثِّلْ بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ وَإِنْ أَنَا عِشْتُ فَأَنَا أَوْلَى بِالْعَفْوِ عَنْهُ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَفْعَلُ بِهِ فَإِنْ عَفَوْتُ فَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ لا نَزْدَادُ عَلَى الْمُذْنِبِ إِلَيْنَا إِلا عَفْواً وَكَرَماً** ».

هذا وهو في حالة مفجعة يصارع الآلام التي لا تطاق تجعل كلّ انسان يرغب بالانتقام ممّن أنزل به هذه الآلام، وأمّا في حالة نشاطه وعنفوانه وهو فارس قام الإسلام بسيفه وشجاعته ترى صوراً مذهلة

يعجز الانسان عن تفسيرها واللطيف انها تكرّرت مراراً في حياته ومع أصناف مختلفة من الأعداء كلّ واحد منهم أشنع وأقبح من الآخر لكن رحمة الإمام عليّ عليه السلام وسعت كلّ شيء.

يقول الواقدي مؤرّخ أهل السنّة والجماعة: في معركة أُحد برز طلحة فصاح من يبارز؟ فقال علي له: هل لك مبارزتي؟ قال: نعم، فبرزا بين الصفّين ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس تحت الراية عليه درعان ومغفر وبيضة فالتقيا فبدره علي بضربة على رأسه فمضى السيف في فلق هامته إلى أن انتهى إلى لحيته فوقع وانصرف علي فقيل له: هلّا ذففت عليه؟ قال عليه السلام: إنّه لمّا صرع استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم[١].

وفي موقع آخر يقول المؤرّخون عن معركة صفّين وأقسم عمرو بن العاص فاتح مصر أن ينازل عليّاً ولو مات ألف موتة فلمّا اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه فتقدّم عليّ وهو مخترط سيفاً معتقل رمحاً فلمّا رهقه همز فرسه ليعلو عليه فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض ثاغراً برجليه كاشفاً عورته فانصرف عنه الإمام لافتاً وجهه مستدبراً له، وتكرر الأمر مع قائد آخر من جيش معاوية وهو بسر بن أرطاة وصار الأمر فاكهة المجالس وقيل فيه أشعاراً كثيرة، هل تعلم لماذا أشفق الإمام ومنّ عليهم بحياتهم؟ لأنّهم لمّا كشفوا عن عوراتهم طلبوا بهذه الطريقة حياتهم من الإمام عليّ والتمسوا منه الرحمة وتمسّكوا بحبال مودّته راجين المغفرة والصفح عنهم والإمام عليّ عليه السلام هو رحمة للعالمين

(١) المغازي ج١ ص٨٥.

وأب للجميع ينزل سني مواهبه على الخلق وليس في نفسه غضب بشري وحقد الطبيعة البشريّة مرتفعة عنه وعنده العدو والصديق سيان ويلطف بالكل بمقدار قابليّته واستحقاقه.

قال أبو عبدالله عليه السلام: لما التقى أميرالمؤمنين عليه السلام وأهل البصرة نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله فزلزلت أقدامهم فما اصفرت الشمس حتّى قالوا آمنّا يابن أبي طالب فعند ذلك قال: لا تقتلوا الأسرى ولا تجهزوا الجرحى ولا تتبعوا مولياً ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن[١].

وهذه شيمة أهل البيت عليهم السلام مع مناوئيهم، فمن طبع الطغاة أن يسيئوا إلى البلدان التي خرجت عليهم بالنار والدمار، ولكن أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوصي عامله بالاحسان إلى أهل البصرة رغم انّهم خرجوا عليه وناوءوه، يقول الإمام: «فحادث أهلها بالإحسان إليهم واحلل عُقدة الخوف عن قلوبهم».

إنّ الإمام لا يكتفي بالاحسان والعدل بل يطلب من واليه أن يحلل عُقدة الخوف عن قلوبهم وتكون نفوسهم صافية لا يشوبها الخوف من الحكومة بسبب ثورتهم عليها، فقد غفر الإمام لهم ذلك ويريد حتّى في بيوتهم وهم في مضاجعهم يشعرون بمودّة تلإمام ولا يظنون في قرارة أنفسهم بالخشية، إلى هذا الحد يرأف الإمام برعيّته فهو يرى نفسه مسؤولاً عن أفعال ومشاعر المواطنين تجاهه، أي حاكم يهتمّ بمشاعر رعيّته الناقمين عليه؟ وهذا الخُلق ورثه الإمام من رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) مستدرك الوسائل: ٥٩/١١.

يقول الواقدي عن معركة بدر: وأقبل نفر من قريش حتّى وردوا الحوض منهم حكيم بن حزام فأراد المسلمون تنحيتهم عنه، فقال نبيّ الرحمة: دعوهم فوردوا الماء فشربوا)[١].

هذه أخلاق أهل بيت الرحمة، أمّا غيرهم يعرفون من الصغر بقبح الخُلق.

يروي أبو عثمان قال: كتب مصعب بن الزبير التابعي الجليل إلى عبدالملك بن مروان: من مصعب بن الزبير إلى عبدالملك بن مروان سلام عليك فانّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو أمّا؛

بعد ستعلم يا فتى الزرقاء أني سأهتك عن حلائلك الحجابا
واترك بلدة أصبحت فيها تهور من جوانبها خرابا

اما ان لله عليّ الوفاء بذلك).

هذه رسالة تهديد مفعمة بالكراهيّة والحقد تتضمّن فقراتها هتك الحجاب عن نساء عدوه وجعل البلد الذي يسكن فيه خراباً وينزل عقابه الصارم على الجميع ليحرق الأخضر واليابس يا لها من حجة بالغة؟

وعلى نقيضه عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يبذل أقصى جهده ليقلل من القتل في الأعداء بل يسعى في أن يجعل لهم مخرجاً لينفذوا في أقطار الأرض.

يقول الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «**كان أميرالمؤمنين لا يقاتل حتّى تزول الشمس ويقول: تفتح أبواب السماء وتقبل الرحمة**

(١) المغازي: ٢٠٥/١.

وينزل النصر ، ويقول : هو أقرب إلى الليل وأجدر أن يقل القتل ويرجع الطالب ويفلت المنهزم »[١].

لماذا يا ملاحدة لا تذكروا هذه المآثر عن الإسلام وتبرزون الدواعش وأشباههم على انّه وجه الإسلام الحقيقي، رأينا حروبكم بأُمّ أعيننا ورأينا آثار الدمار الهائل من وراء القنابل السامّة التي تلقونها على رؤوس الأبرياء فكلّ القنابل تحمل سموماً لها أعراض جانبيّة بعضها أفتك من الأخرى فما أرعب منظر أطفال فيتنام؟ الذين قتلوا باسم العلمانيّة والديمقراطيّة.

أمّا في الإسلام فقد نهي عن استعمال السم في الحروب.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: « **قال أميرالمؤمنين عليه السلام : نهى رسول الله أن يلقى السم في بلاد المشركين »**[٢].

ما أروع الأخلاق الحربيّة في الإسلام.

عن الإمام الصادق قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سريّة دعاهم فأجلسهم بين يديه ثمّ يقول: سيروا بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله، لا تغلّوا (وضع طوق من حديد في عنق الأسير أو في يديه) ولا تمثّلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ولا تقطعوا شجراً »[٣].

---

(١) الكافي: ٥/ ٤٣.

(٢) الكافي: ٥/ ٤٢.

(٣) المصدر السابق.

وأهل البيت عليهم السلام يحملون هموم هداية الناس يـريدون لهـم الخـير وجهادهم لأجل ذلك.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: « **قال أميرالمؤمنين عليه السلام: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن وقال لي: يا علي لا تقاتلنّ أحداً حتّى تدعوه، وأيم الله لأن يـهدي الله عـلى يـديك رجـلاً خـير لك مـمّا طـلعت عـليه الشـمس وغربت** ».

كيف يصح لك أخلاقيّاً أن تقيش سيرة أهل البيت عليهم السلام وطبعهم في الحروب مع أخلاق اليهود والنصارى والدواعش وطريقتهم الوحشيّة في الحروب؟

فان لم يكن لك دين فكن حرّاً، ألم تر في العهد القـديم أنّ القـائد يأمر اتباعه بقتل كلّ موجود حي امرأة كانت أو صبياً أو شيخاً كـبيراً أو مريضاً مقعداً حتّى تعدّوا ذلك إلى الحيوانات وحرق الزرع والأرض، هل يشابه هذا بأيّ شكل مع سنّة أهل البـيت عليهم السلام الذي يـروى عـن الإمـام الصادق عليه السلام انّه قال: « **انّ النبيّ كان إذا بـعث أمـيراً له عـلى سـريّة أمـره بتقوى الله ونهاه عن أُمور منها: ولا تحرقوا النـخل ولا تـغرقوه بـالماء ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تحرقوا زرعاً ولا تعتقروا من البهائم** ».

هل يستوي عمل أهل البيت عليهم السلام مع قادة أخواننا أهل السنّة؟

اسمع هذه القصّة: ليلة معركة حاسمة اجتمع الأمير مع قـواده فـي خيمته لوضع خطة الحرب ليوم غد تداولوا حديث الحرب بـينهم وكـان الأمر واضحاً للجميع.

إنّ مدينة حلب ساقطة عسكريّاً وليس باستطاعة الأهالي مقاومة هذا الجيش الجرار سال لعاب الجميع حينما خطر ببالهم الغنائم التي سوف يحوزونها غداً فتعالت أصوات القهقهة فرحاً بما يلقونه من كنوز سهلة وفجأة كدر صفو مجلسهم سؤال أحد القادة ماذا لو أهل حلب تسننوا غداً ودخلوا في دين السنّة؟ سوف يحرم عليهم جميع الأموال وتذهب عنهم الكنوز أدراج الرياح اصفرت الوجوه بعد أن كانت ضاحكة انبرى الأمير قائلاً: سوف نستفتي مفتي ديارنا ونأتمر بأمره فأرسل كتاباً إلى محمّد بن إسماعيل الحنفي، فجاء الجواب كالتالي [إنّهم بمثابة الزنادقة وتوبة الزنديق لا تقبل][1] والآن وجه وجهك شطر مدرسة أهل البيت عليهم السلام وانظر لو أراد قوم مشركون محاصرون في مدينة ساقطة عسكريّاً لا أمل في نجاتهم لو طلبوا الأمان لوجب إعطاهم الأمان، عن أبي الحسن عليه السلام قال: لو أنّ قوماً حاصروا مدينة فسألوهم الأمان فقالوا: لا، فظنوا أنّهم قالوا: نعم، فنزلوا إليهم كانوا آمنين[2] حتّى في صورة الظن أيضاً يرحب بالأمان ويقبل منهم السلم والرجوع عن البغي والعدوان.

التعذيب في الإسلام

كلّ الدول لها سجون سرية تقشعر منها الأبدان، لو اطّلعت عليها لولّيت فراراً، البعض فضح على رؤوس الاشهاد وسربت لقطات من

---

(١) اليمانيات المسلولة على الرافضة ص٢٠.

(٢) الكافي: ٤٦/٥.

التعذيب الوحشي الذي يمارس فيها بحقّ المسجونين من سجون العلمانيين في أبي غريب وغوانتانامو وسجون الملحدين في المانيا الغربيّة وسيبريا، وما يثير الحيرة هو سجن أبي غريب فيه يعيد التاريخ نفسه من خلال قصر الكوفة، يقول عبيد بن عمير: لقد رأيت في هذا القصر عجباً وسببه انّه رأي عبدالملك بن مروان حينما انتصر على خصمه دخل القصر ووضع رأس خصمه مصعب بن الزبير بين يديه، فقال له ابن عمير: جلست أنا وعبيدالله بن زياد في هذا المجلس ورأس الحسين بين يديه، ثمّ جلست أنا والمختار بن أبي عبيد فإذا رأس عبيدالله بن زياد بين يديه، ثمّ جلست أنا ومصعب هذا فإذا رأس المختار بين يديه، ثمّ جلست معك يا خليفة فإذا رأس مصعب بين يديك، فارتعد عبدالملك وقام من فوره وأمر بهدم القصر.

تتكرّر القصّة في سجن أبي غريب، رأينا كيف أنزل عتاة البعثيّة العلمانيّة أغرب أنواع التعذيب بحق معارضيهم ما يطير العقل من الرأس ومن ثمّ أنزل الاميركان العلمانيون أقبح أنواع التعذيب بحقّ البعثيين فيه، والله أعلم ماذا يجري في المستقبل، انّها موعظة من الماضي القريب لحكّام العراق الحاليين حتّى لا يكونوا عبرة للأجيال القادمة، على كلّ حال الإسلام يكره التعذيب وإن كان بحقّ المجرمين وإنّما وضع حدوداً شرعيّة من تعداها أجريت عليه فلا يأخذ بالظن والاتّهام، ومن ثمّ يوضع في غرفة مظلمة مع أنواع الآلات القاسية لأخذ الاعترافات بالقوّة كما أقامها النصارى في محاكم التفتيش فلم نسمع من أهل البيت عليهم السلام ان قاموا

بذلك بحقّ أعدائهم، روي ان المسلمين قبضوا على عبدين لقريش فأتوا بهما وبعد التحقيق معهم سألوهما لمن أنتما؟ وكانوا يرجون أن يكونا لعدوّهم اللدود أبي سفيان فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فضربوهما حتّى قالا إنّهما لأبي سفيان ورسول الله ﷺ قائم يصلّي فأسرع في الانتهاء من صلاته وصاح بأصحابه: إذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما صدقاً والله انهما لقريش».

ولكن مع الأسف خالفوا سيرته العطرة بعد وفاته ونراهم ينتزعون الاعتراف بالتعذيب بل أحياناً لمجرّد اللهو كما يروى عن الخليفة المعظم المعتضد بالله أراد أن يذكر اسمه ضمن قائمة المكتشفين والمبدعين في العلوم، فأجرى تجارب عجيبة منها محاولته نقض العقيدة السائدة بين الناس في خروج الروح من الفم فجاء بأسير من سجونه فأمر أن تحفر له حفيرة يدلى رأسه فيها ويطرح التراب ويبقى نصفه الأسفل ظاهراً فوق التراب ثمّ يداس التراب بالأرجل حتّى تخرج روحه من دبره.

بعد أن سدت كلّ المنافذ التي يمكن أن تخرج بواسطتها من فمه ظناً معه ان الروح بحاجة إلى منفذ للخروج كالهواء المادي، والصورة الأخرى بطلها أمير العراق عمر بن هبيرة عيّنه الخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك على العراق سنة ١٠٣ هجري، هذا الرجل اختلف مع سعيد بن عمرو الحرشي لأسباب تافهة فعذبه بأنواع العذاب واقترح بعض المتملقين نوعاً خاصّاً من العذاب فقيل له إن أردت ألا يفلح أبداً فمرهم فلينفخوا في دبره النمل ففعلوا فلم يفلح بعدها.

الان تذكرت أُموراً أخرى من التعذيب يجبرني ضميري على ذكرها منها ما فعل ذو النورين الخليفة الراشد عثمان بن عفان بحق معارضيه أمثال عمّار بن ياسر، فقد اعترض على عثمان من تفشي الجور والفساد في بيت المال فأمر ذو النورين حرّاسه فجرّوا عمّار بن ياسر إلى قصر الإمارة وشدّوا يديه ورجليه وتولّى الخليفة بنفسه أمر تعذيبه وراح يضربه على بطنه حتّى فقد وعيه ثمّ رموه في الطريق، ولحدّ الآن أصداء الصوت الثائر لأبي ذرّ الغفاري تصدح في آذان المسلمين رافضاً للطغيان وناكراً أن يحتكر الامراء أموال المسلمين في جيوبهم بينما يموت الفقراء جوعاً، ما أطاق ذو النورين والخليفة المبجل أصوات الاعتراض فأمر بنفي أبي ذرّ الغفاري إلى الصحراء إلى الربذة حيث لا يقطنها أحد لمناخها القاسي، مات هناك مهموماً يحمل الآلام الفقراء.

وأمّا الخليفة المحبوب إلى يومنا هذا لا ننسى درته التي كانت أهيب من سيف الحجّاج، وجعل الاقامة الجبريّة على الصحابة في المدينة، بهذا ونحوه يستمر الحكم والخلافة ويهابها المعارضون ولا ينبسّون كلمة ببنت شفة.

وأمّا الإمام عليّ عليه السلام وهو في رأس الحكومة وبيده الأمر والنهي كان يأتيه قزم من الخوارج وعلى رؤوس الاشهاد في يوم الجمعة رافعاً عقيرته يصيح بأعلى صوته على الامام يا كافر، وهذا دأبهم في تكرار المشهد بين حين وآخر، ولكن لم يعاملهم الإمام عليه السلام مقابل جرائمهم واعتداءاتهم بل كان يلقاهم بالابتسامة ويردّ عليهم رداً منطقيّاً شافياً إن كان لهم عقول

يعقلون بها، ولم يقطع رزقهم من بيت المال أو يهدّدهم بالنفي أو الاعتداء على زوجاتهم أو أبنائهم كما فعل حزب البعث العلماني الاشتراكي.

جرائم نظام صدّام العلماني

صدّام التكريتي له تسجيل صوتي يفتخر فيه ان في دولتـه كـثرت السفور بين النساء وان عدد اللواتي يلقين الحجاب زاد عمّا قبل انـقلابه المشؤوم، هذا الرجل العلماني له سجل أسود لا يلحقه أيّ ظالم وطاغية على مرّ العصور جـميعاً فأعـتى العـتاة يـقفون مـبهورين أمـام أعـماله الإجراميّة، وقع بين يدي كتاب مؤلم يدوّن فيه سجين سـابق فـي عـهد الطاغية العلماني ما جرى له ولزملائه في سجون البعث الملحد التـقطتُ أوهنها لأرويها لك لعلّها تكون أقلها رعباً من باقي صور التـعذيب التـي ينقلها، يقول: من أساليب الجلادين في تعذيب الاسـلاميين انّـهم كـانوا ينقلون المعتقل الإسلامي إلى ما يسمونه بالمعمل وهو عبارة عن مكـان مزودة جدرانه بأجهزة خفية تصور أصواتاً مـرعبة لحـيوانـات وحشـيّة وصراخات عالية مزعجة وفي هذا القبو (المعمل) توجد غـرف صـغيرة جدّاً فيها سرير واحد وسلاسل حديديّة وهـراوة وكـيبل وحـبل سـميك وتابوت يُلقى المعتقل فيه ويرمى على الأرض أول ما يفتح عينيه يـرى اثنين من الجلادين في الغرفة (القبو) أحدهم قد اسـتلقى عـلى السـرير والثاني ممدّد في داخل التابوت وهو عاري الجسـد تـماماً يـغلق أحـد الجلادين الباب ليقوم الذي في التابوت ويطلب من المـعتقل أن يـعترف

وإلّا فانّه يتعرّض لأساليب لا أخلاقيّة تقشعر منها النفوس وتـترفع عـن ارتكابها الوحوش وحينما لا تنفع به هذه الأساليب ينتقلون إلى المرحلة الثانية من مراحل التعذيب الجسدي أو يعتقل الرجل المتدين مـع المـرأة المتديّنة في زنزانة صغيرة ويخلعون عنهما ملابسهما تـماماً ويـربطونهما بحبل وجهاً لوجه وقد استعملت هذه الطـريقة مـع أب وابـنته[١] هـنالك أساليب كثيرة ذكرها أترفع عن ذكرها ولم أستطع اكمال قراءة الكتاب لما فيه من أُمور مفزعة تصيبني بكوابيس مزعجة.

الملحد: اصـبتني بـالاشمئزاز وهـذا الصـنف لا يـمثل العـلمانيّة والإلحاد.

المؤمن: ليتني أعرف الذي يمثلكم؟ هل هي الولايـات المـتّحدة الحافل سجلها بانتهاك حقوق الإنسان من القاء القـنابل النـوويّة وإبـادة الشعوب كاملة بقنابلها السامّة أم بسجونها السريّة؟

السبي

الملحد: اسمح لي حتّى أنتقل لصفحات مظلمة مـن تـاريخكم لا تتحدّثون عنها بل تخجلون من إظهارها وهو تشريع الدين لسبي النساء والأطفال مع علمنا ان الأطفال ملائكة الله في الأرض وانّ الجنّة تـحت أقدام الأُمّهات ولا يعقل أن تسبى جنّة الله وييتم ملائكته انتصاراً له هـل

(١) أساليب الطغاة في تعذيب الدعاة ص٢٨ و٨٢.

يعقل أن يعلمني الله اشياء يناقضها هو؟

في هذه الأثناء تدخل أحد المستمعين وتطفل في التكفّل بالرد ولم يعطي مجالاً للمؤمن بالكلام قائلاً: اسمع يا ملحد قد أثرت غضبي لكني كظمت غيضي فاسمع ما أرده على استدلالك السخيف لو رجعت للتاريخ في عمالقة الملحدين يبيحون السبي ويعتبرونه علاجاً انسانيّاً للحروب من أكبر الأخطاء التي يقع فيها الباحث الابتعاد عن الظرف الزماني والمكاني عن موضوع النقاش فيأتي يطبق قوانين لفترة زمنيّة معيّنة أو مكان ما على فترة زمنيّة أخرى ومكان آخر هنا يقع أكبر الخلط لمسيرة البشريّة، مسيرة متطوّرة وحبلى بالتطورات في المفاهيم والعقائد والثقافات لا يمكن أن نعتبر الشيء المستهجن في حقبة ما دليلاً على كونه محرماً في كلّ الاحقاب والعكس أيضاً، الآن حكم السبي في زماننا مستهجن لماذا لأنّه بعد ما انقضى حكم العبوديّة وصار بالامكان معالجة مخلفات الحرب باتفاقيات دوليّة تعارف عليها المجتمع الإنساني، أما في الأحقاب الماضية كان هذا رائجاً، فلو لم يفعل السبي آنذاك لكان هؤلاء الاسارى سيضجون ماذا نصنع؟

الإسلام لاقى هذا الواقع ولم يستطع أن يلغيه، نعم يمكن أن يضع خطة بعيدة المدى لإلغائه وكانوا يأتون بنسائهم وذراريهم في المعارك حتّى يقيده في أرض المعركة وهذه إذا خسرت زوجها لا يمكن لها الرجوع وتحتاج للمُعيل متى ما أخذت تقول تعالوا خذوني. فجأة ضحكت امرأة من كلام هذا الرجل وقالت له ساخرة: كيف تستطيع

معاهدة أقرها غير المسلمين في بلد غير مسلم أن تحرم عملاً مشروعاً أقره الاسلام، هل يمكننا القول ان الحياة تطورت وان الأحكام الشرعيّة الإسلاميّة تطوّرت معها ام ان معاهدة جنيف صارت جزءاً من الدين الإسلامي؟

المؤمن: وأنا أشد على أياديك وأقول: لم يرد نسخ تطمئن إليه النفس ينسخ حكم ما ملكت ايمانهم في القرآن.

ثانياً: لم يتجرأ حتى أقل الطلبة علماً ان يتفوه بما تدعيه من نسخ التشريعات الكافرة أو غير الإسلاميّة للشريعة الإسلاميّة وبموجبها تتغيّر الأحكام الشرعيّة ومن ثمّ لم تتوقّف على حد العبيد ولا تتجاوزها في سائر التشريعات من الزواج وعلى الأخص في بلوغ البنت والمعاملات الماليّة و ما يرتبط بالبنوك وغيرها من الأحكام.

ثالثاً: مسألة ظرف الزمان والمكان وتدخله في تغيير الأحكام الشرعيّة.

المتطفل: مهلاً قبل أن تكمل حججك عثرت على حجّة دامغة من كتب أحد أشهر المفسّرين يقول فيه: هناك نوع آخر من النسخ لم يُنسخ الحكم فيه صريحاً وفي بداية الأمر وإنّما عُرض للنسخ بتمهيد أسبابه المؤاتية نسخاً تدريجيّاً وذلك فيما إذا دعت المصلحة الاقرار على شريعة كانت سائدة على الحياة العامّة بحيث لا يمكن قلع جذورها بسهولة إلّا بتمهيد مقدّمات هي توهن من شأنها وتزعزع من شأوها لتنهار بنفسها نهائيّاً نظير التدرّج في التشريع في مسألة محاربة الخمر وغيرها على

سبيل المثال، فقد أقرّت الشريعة ضرب النساء لا ليثبتها بل ليمهد السبيل إلى دفعها وقمعها وقد نجح بالفعل إذا ما لا حظنا سيرته الكريمة وسيرة أصحابه المرضيّين ومن تبعهم بإحسان من المؤمنين في طول التاريخ وهكذا الأمر بشأن ملك اليمين أقره الإسلام في ظاهره لا ليعترف به كنظام بل ليمهد السبيل إلى إلغائه في نهاية المطاف، جاء الإسلام والرق نظام معترف به في جميع أنحاء العالم بل كان عملة اقتصاديّة واجتماعيّة متداولة تعارفها الجميع ولا يستنكرها أحد ولا يفكر في إمكان تغييرها فضلاً عن إلغائها أحد، لذلك كان تغيير هذا النظام أو محوه أمراً في حاجة إلى تدرج ومهل وربما في فترة غير قصيرة...

المؤمن: سوف أفتت هذه الحجج تفتيت الليزر لحصى الكلى.

أوّلاً: كلامك أبرز مصداق في الجمع بين المتناقضين، كيف يعقل الجمع بين وجود واقرار تشريع ما وبين عدم ونكران نفس الشريعة في آن واحد، هل هذا إلّا جمع بين الوجود والعدم وقياسها إلى تحريم الخمر بالتدريج قياس مع الفارق، لأنّ الخمر من أوّل الأمر لم يقر ولم يعترف به كشريعة سماويّة ولم يصدر حكم من الله بإباحة شرب الخمر ولو في آن واحد، بل كان نزول الآيات بتحريم شرب الخمر على مراحل معيّنة من النهي عن شربه في وقت الصلاة وبيان انّ فيه إثم كبير ومنفعة للناس والإثم أكبر من نفعه، فلم يترك الإسلام لشارب الخمر نافذة يهرب منها إلى الاباحة وإنّما هو كقول أحدنا ان سماع الأغاني مضيعة للوقت وان بعضها يشجع على العُنف والرذيلة ومع اني ساكت عن الباقي ولم أحكم

عليها وسكوتي عن باقي الأغاني لا يدلّ على حليّتها وانّي ارتضيها ولكن الآن لا أذكر رأيي فيها، وكما نعلم ان المفهوم لا حجّيّة له وإنّما يأخذ وما له حجّيّة واعتبار هو كلام المنطق وأمّا السكوت والمفهوم لا اعتبار له لأنّه يبقي باب الاحتمال مفتوحاً هل هو راض عمّا سكت عنه أو لا؟ فيبقى الشكّ ونحن طلاب اليقين ولا يؤخذ بالشكّ.

ثانياً: إنّ النسخ متقوّم بالشارع المقدّس فقط لا بقرارات المنظمات الأجنبيّة عن الإسلام فالذي قوله محترم هو الناطق عن الله فقط.

وأقصد بالاحترام ان كلامه يكون حجّة بعنوان المنجزيّة والمعذريّة في الفقه.

وبعبارة أُخرى يكون كلامه مقدّساً خالياً من النواقص والعيوب يتقرّب به إلى الله تعالى. اما غيره فهو محل أخذ ورد بمقدار مطابقته للواقع فهل يصح بأيّ حال من الأحوال أن نضع قرار منظمة جنيف أو الرئيس الامريكي الذي أمر بانتهاء الرق لأجل المصالح الاقتصاديّة الامريكيّة البحتة نضعه في كفّة الميزان في قبال القرآن وسنّة أهل البيت عليهم السلام، الفقيه يجب أن يتخلى عن مؤثرات الزمان والمكان وينظر إلى القرآن والسنّة لوحدهما من دون تأثير أجنبي عليهما ولا تؤثر في اصدار فتاويه ميول ورغبات الناس في زمانه، فالعوام تتنوع رغباتهم بتغير الأجيال وهذا يلزم منه أن يكون لكلّ جيل فقه جديد يناسب نوازعه الشخصيّة.

ثالثاً: إنّ الاسلام نسخ كلّ الشرائع السابقة الضارّة لفطرة الإنسانيّة

ولم يصبر على أحدها بل قضى على جميعها أما بالضربة القاضية كـوأد البنات وامّا بجولات متعدّدة كشرب الخمر امّا أن يـترك مـنكراً وقـبيحاً لينسخه الزمان وبيد الأغيار، فهذا بعيد عن روح الإسلام الذي جاء ليهدم مبنى الكفر وعاداته، هل وهذا إلّا اهمال من الله جلّ جلاله حاشاه وعدم مبالاة من رسوله وأوصيائه لعادة قبيحة أن تنفذ من بين أيديهم وتتسلسل إلى مجرى الزمان ولا يعلم متى تتغير أو لعلّها تبقى إلى أبد الآباد ونحن نعلم جيداً لولا تضرر المصالح الاقتصاديّة لأمريكا لما حكموا بانتهاء الرق إلى يومنا هذا.

الملحد: اذن ما هو رأيك هل تسلم بهذه الشنيعة في الشريعة؟

المؤمن: بل هي آية رحمة في الشريعة يراها الكافر الحربي شنيعة له وهي حقاً بلاء وشنيعة عليه ولكن في باطنها رحمة له وبما انّه متشبع وغارق في العناد والكفر، وسوف تكون العبوديّة كعمليّة جراحيّة مـؤلمة تستأصل الكفر من ذاته بآلة حادّة تسمّى العبوديّة.

الملحد: هل تقبل لنفسك أن يأتي الامريكان بما انهم الأقوى الان ويجعلونك عبداً أم عندما يصل الأمر اليكم تستقبحونه كما يقول خليفتكم عمر بن الخطّاب: لا سباء على عربي[١] أو قوله المشهور في التاريخ: انّه لقبيح بالعرب أن يـملك بـعضهم بـعضاً وقـد وسـع الله عـزّوجلّ وفـتح الأعاجم[٢].

---

(١) الأغاني: ٢٧٩/١٢.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢٣٧/٢؛ تاريخ الطبري: ٣٠٤/٢.

من الذي يستحقّ العبوديّة؟

المؤمن: انظر ان محمّد بن عبدالله بقي يبلغ في قومه ٢٣ عاماً بأبلغ الخطاب وأقام أبهر المعجزات العقليّة والحسيّة وما نهاهم إلّا عمّا يعرفون سوءه في نفوسهم وما يستوحشونه في قرارة نفوسهم من وأد الموؤودة ودفن البنات وعبادة الحجر والصنم الذي لا ينفع ولا يضر ومن أكل القوي للضعيف وأكل مال اليتيم وأكل ما يستقبح من الحيوانات من الضبّ والميتة وقطع الأرحام والشذوذ الجنسي والفواحش ما ظهر منها وما بطن وبلغت الجاهليّة ذروتها عندهم حتّى كان يطلب أعرابي من أبي سفيان طلباً يقف شعر المرء من هوله وهو أن يأتي أبو سفيان وينكح زوجة الاعرابي ليأتيه نغل يشبه أبا سفيان كبير قريش، فما جاء الرسول إلّا ليتمّ لهم مكارم الأخلاق ويرحم الصغير الكبير وتعيش النساء في جنب الرجال وحثّهم على طلب العلم ولو في الصين ليشيدان بذلك حضارة يأوي إليها كلّ مسكين من ارجاء العالم ويأمن في كنفها العالم ليبدع في ما تعلم. ثلاث وعشرون سنة يحاول معهم كل الطرق السلميّة التي تخطر ببالك ونفذ جميع رغباتهم التي تثبت لهم نبوته وإن كانت شريعته الغراء في غنى عن اثبات اتصاله بالسماء وانّه مرسل من قبل الله عزّوجلّ بل يكفي العاقل التمعن في دقائق الشريعة حتّى يصدقها بكلّ اخلاص ويعمل على تنفيذها بكل امانة وما ازدادت قريش في طيلة هذه الثلاث وعشرين عاماً إلّا عتواً ونفوراً وصبّوا على رأس نبيّهم أنواع البلايا وأذاقوه الويلات والمشاق فهل يا ترى كان على الرسول ﷺ أن يغض الطرف عن هذه

الظلامات البشعة والمدمّرة للإنسانيّة ويتركهم يتيهوا في غـياهب الجـور والشرك لأجل ان كبار القوم تتهشم مصالحهم الاقتصاديّة من جراء تطبيق الشريعة النبويّة، ألأجل أن لا تتضرّر المنافع التجاريّة لجناب أبي سفيان يترك المستضعفون وشأنهم؟ ان عناد كبار القـوم كـان لأجـل أمـوالهـم والدنانير التي تنزل في جيوبهم من عرق العبيد، أمّا الإسلام فجاء محرّراً لهؤلاء المساكين وجعل نير العبوديّة على أبي سفيان وأمثاله ليذوقوا وبال تكبرهم، جاء الإسلام محرّراً لبـلال الحـبشي الافـريقي واضـعاً اغـلال العبوديّة على سيّده، ان أمثال هؤلاء السادة هم من يستحقون فـي نـظر الإسلام العبوديّة فهل ترى انتهى الجبابرة والمتكبّرون في عصرنا فكم من أقوام في عصرنا يستحقون العبوديّة لإجبارهم على طي طريق العدل لا تستوحش من كلامي.

فوائد الإجبار

وسوف أضرب لك أمثلة على ان الجـبر مـفيد ونـافع فـي بـعض الأحيان فكما تعلم ان هناك قانون يجبر الوالدين عـلى ادخـال أبـنائهم للمدارس وأن يتخلى الأبناء عن حريتهم لساعات كثيرة من اليوم ليقضوا وقتهم في التعليم والتربية التي يقرّرها نخبة المجتمع وتفرض على بـاقي أبناء الشعب بالجبر والاكراه ويتحكمون في عقول الصغار وينقشون مـا يحبونه كالنقش على الحجر بما يختارون من مناهج يؤلفونها ويـريدون نشرها فتنشأ الاجيال كما يشاؤون ويفكرون كما تريد النخبة أن يفكروا

فهل معنى ذلك الدعوة لإلغاء كافة أوجه التعليم والنداء للناس بحمل المعاول وهدم المدارس وإنّما يجب التفريق بين النظام التعليمي المفيد في إنشاء أجيال نافعة وبين نظام تعليمي فاشل يصنع اجيالاً مدمرة للأرض وما فيها، فعلى كلّ حال ان الاجبار في التعليم واجب وما العبوديّة إلّا اجبار الفرد على العيش كما يريد السيد منه والمثال الآخر هو التجنيد ومفاده أن يسلب الشاب من بين احضان عائلته وتحويله إلى آلة للقتل وتعليمه لسنوات في كيفيّة القتل مع ما يصاحب العمليّة أن يتحمّل أقسى ظروف الحياة، فان كتب له حظ يرجع إلى أهله سالماً، أو ان لم يحالفه الحظ وبلاده في حالة حرب قرّر خوضها نيابة عن النخبة وسادة المجتمع فعليه أن يخاطر بأثمن ما عنده وهي حياته في سبيلهم، فإمّا أن يقتل في المعركة أو يرجع معوقاً إلى وطنه ويرجع الفضل في الانتصار إن تحقّق إلى السادة، ومن صور العبوديّة في عصرنا الموظّفون في القطاع الخاص الذين يقضون أحلى وأثمر سنوات حياتهم في العطاء لأجل رؤسائهم ويحصد السادة الثمار من عرق جبين هؤلاء البؤساء ومن ثمّ إذا قرّر الطاغية (المدعو: الأرباح أوّلاً) أن يفصله من عمله بعد ما شاب رأسه وما عاد يجلب الربح لهم فسوف يطردونه إلى خارج البناية العظيمة المبهرة الجمال التي شُيّدت أركانها من سهر وتعب هذا المسكين وغيره ويظلّ حائراً لا يعلم ما العمل، هل هذا أرحم أم العبوديّة التي من واجب السيد أن يتكفّل بعبده إلى نهاية عمره، يا ملحد لا تشيح بوجهك جانباً وانظر إلى الجانب المشرق من العبوديّة في ظل مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

حقوق العبد في ظل مدرسة أهل البيت عليهم السلام

يقول الإمام السجّاد عليه السلام في منشور حقوق الانسان الذي سطرته أنامله الشريفة: «وأمّا حقّ مملوكك فأن تعلم أنّه خلق ربّك وابن أبيك وأُمّك ولحمك ودمك...» أي انه أخوك وللدلالة على شدّة الارتباط بينهما عبر الإمام بأنّه من لحمه ودمه فما يفعل الانسان؟ وكيف يتعامل مع الذي هو من لحمه ودمه وابن أبيه وأُمّه أيقسو عليه ويظلمه؟ أم يربيه ويعلمه؟ ثمّ يستمرّ الإمام عليه السلام قائلاً: «وانك لم تملكه لأنّك صغته دون الله ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً ولا أجريت له رزقاً ولكنّ الله كفاك ذلك بمن سخّره لك وائتمنك عليه واستودعك إيّاه لتحفظه فيه وتسير فيه بسيرته فتطعمه ممّا تأكل وتلبسه ممّا تلبس ولا تكلفه ما لا يطيق فإن كرهته خرجت إلى الله منه واستبدلت به ولم تعذب خلق الله ولا قوّه إلّا بالله».

من كلام الإمام نفهم ان مسألة العبوديّة جعلت لأجل التربية والتعليم للذين لا يهتدون إلى الخير بطريق الاختيار من أمثال الذين يحاربون الله ورسوله ويريدونها فاسقة فاجرة وان تجري الدنيا كما يهوون من شهوات شاذة ويستكبرون عن عبادته، فبعد ان تضع الحرب أوزارها ويهلك رأس المعاندين يبقى الضعاف من القوم يجري تأهيلهم حتى يدخلوا دار الايمان والسلام منزهين عن الكفر ومبرّءين من الرجس والفسوق بعد أن يتمّ غسلهم من أدران الشرك والفجور، انها دورة تعليميّة اجباريّة ترجع بهم إلى فطرتهم السليمة بعد أن لوّثتها دار الكفر ويشرف على هذه الدورة أساتذة ماهرين يوصيهم الإمام ان هذا الرجل وديعة الله عنده ويجب أن

يحفظ الله فيه فيراعي حقوقه كاملة، أتعلم ما هو حقّ الله على عباده؟

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وعليه يكون الهدف الرئيسي من وراء العبوديّة الاجباريّة أن يحفظ السيّد حقّ الله في مملوكه وهو ايصاله إلى بر حب الله فما ان يبلغ بر الامان حتّى يستوجب عتقه ويحل أسره ويفكّ عنه حلق العبوديّة البشريّة ليجد رائحة العز والكرامة، والشواهد على ذلك من تاريخ الإسلام كثيرة حتى أنـي اندهشت عند مطالعتي لكتاب حياة الإمام زين العابدين تأليف جدّنا العلّامة باقر شريف القرشي{رحمه الله} وهالني ما وجدت من كم هائل من أصحاب الإمام السجّاد{عليه السلام} الذين بلغوا مرتبة الفقاهة والعلم وهم كانوا في السابق عبيداً لفلان وفلان فانظر ما تفعل العبوديّة في الإسلام بأناس همج وتحوّلهم إلى علماء ورواة يأخذ الملايين من المسلمين دينهم من هؤلاء العبيد سابقاً.

حقوق العبد بعد التحرّر من العبوديّة

ويعود الإمام زين العابدين مرّة أُخرى ويبيّن بعض حقوق العبيد فيقول في فقرة حقّ المولى: «وأمّا حقّ مولاك الجارية نعمته عليك فان تعلم أنّ الله جعلك حامية عليه وواقية وناصراً ومعقلاً وجعله لك وسيلة وسبباً بينك وبينه فبالحري أن يحجبك عن النار فيكون في ذلك ثواب منه

(١) سورة الذاريات (٥١): ٥٦.

في الأجل...» هذه الفقرة الذهبيّة تكشف الستار عن حقوق العبيد بعد تحريرهم وينص على وجوب نصرتهم والحماية لهم من الاضرار لأن العبد بعد تحرّره يدخل عالم جديد لعلّه غريب عليه يواجه فيه أخطار لم يعرفها فهو كان في كنف سيّده يعلمه ويربيه ويتكفّل السيّد بكافّة أموره من الملبس والمسكن والغذاء والآن بقي وحيداً وعليه أن يبني حياته من جديد فيأمر الإمام أن لا يترك هذا الانسان المُحرر تواً يواجه مصيراً مجهولاً بوحده بل من مسؤوليّة المولى أن يكون درعاً واقياً له من المخاطر الجديدة ومعقلاً يلجأ إليه المتحرّر حينما يشعر بالأخطار فهو سنده في الملمات والشدائد، وهذا الأمر كلّه قربة إلى الله تعالى لأن هذا الرجل المتحرّر حديثاً هو وسيلة وسبب بين الله والمولى أي (صاحب العبد) انظر إلى مدى دقّة الاسلام وقوانينه ورأفته بالانسان فقد رفع العبيد سبباً ووسيلة يتقرّب بالاحسان إليهم إلى الله تعالى، فهم موضع للشفقة والمحبّة وبهم يبلغ الانسان المعالي، قلت لكم علينا الاقتصار بالنظر إلى الأدلّاء على الله وأمناء الله وأحبّائه وهم أهل بيت العصمة فقط، أمّا غيرهم يخلطون بين الحق والباطل وتحكمهم العصبيّة والرذيلة، يرى الخليفة المبجل عبدالملك بن مروان التابعي الثقة ان الزواج من الجواري نقص في الشرف ولما علم ان الإمام زين العابدين عليه السلام أعتق جارية له ثمّ تزوّج بها استغل هذه الحادثة فأنكر على الإمام ذلك وكتب له:

أمّا بعد فقد بلغني تزويجك مولاتك وقد علمت انه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه في الولد فلا لنفسك نظرت

ولا على ولدك أبقيت والسلام.

ما أشدّ عفونة رائحة العصبيّة والتكبر في هذه الرسالة، ألا يستحق أن تعتق هذه الجارية ويوضع غل العبوديّة على مثل الخليفة ليدخل دورة تعليميّة تحت اشراف أهل البيت.

أمّا الإمام فأجابه بمنطق الإسلام بالرسالة التالية: «**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تُعَنِّفُنِي بِتَزْوِيجِي مَوْلاتِي وَتَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ فِي نِسَاءِ قُرَيْشٍ مَنْ أَتَمَجَّدُ بِهِ فِي الصِّهْرِ وَأَسْتَنْجِبُهُ فِي الْوَلَدِ وَأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُرْتَقىً فِي مَجْدٍ وَلا مُسْتَزَادٌ فِي كَرَمٍ وَإِنَّمَا كَانَتْ مِلْكَ يَمِينِي خَرَجَتْ مَتَى أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنِّي بِأَمْرٍ أَلْتَمِسُ بِهِ ثَوَابَهُ ثُمَّ ارْتَجَعْتُهَا عَلَى سُنَّةٍ وَمَنْ كَانَ زَكِيّاً فِي دِينِ اللهِ فَلَيْسَ يُخِلُّ بِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ وَقَدْ رَفَعَ اللهُ بِالْإِسْلامِ الْخَسِيسَةَ وَتَمَّمَ بِهِ النَّقِيصَةَ وَأَذْهَبَ اللُّؤْمَ فَلا لُؤْمَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِنَّمَا اللُّؤْمُ لُؤْمُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالسَّلامُ**».

الملحد: إذن لماذا لا تغزون العالم وتأتون بالسبايا لتقيمون ماتدعيه من دورات تعليميّة اجباريّة؟

المؤمن: ما لك غافل عمّا قلنا سابقاً أنسيت ما دعيته من حرمة الجهاد عند الشيعة الإماميّة في عصر الغيبة لنقصان اقامة الحجّة على الكافرين والمنافقين، ومادمت تطرقت إلى ذلك أزيدك من الحجّة بياناً ان كلّ الأنبياء وأوصياءهم حينما جاءوا إلى قومهم ليقيموا العدل والتوحيد بينهم طالبوا منهم المعجزة التي تخرق عادة زمانهم في زمن موسى عليه السلام كان الرائج هو السحر وفي زمن عيسى عليه السلام مثلاً كانت بضاعة الأطباء رائجة

وفي عصر الرسول ﷺ الشعر والبلاغة، أمّا في عصرنا فعلم الفيزياء هـو الذي يصول ويجول في الميدان وعليه إن أردنا اقامة حجّة كاملة لا يمكن لأحد الفرار منها أن نأتي بمعجزة ترتبط بالفيزياء تخرق ما يعتاده علماء الفيزياء عليها وبها يكون برهان قاطع على صحّة دعـوانـا ولا يـبقى إلّا المعاند وعلاجه السيف والعبوديّة لنرجع إلى كلامك وادعـائك ان الجـنّة تحت أقدام الأُمّهات فكيف تبقى الجنّة.

الملحد: هذا ادّعاء نبيّكم وليس بقولي فلا تنسبه لي.

المؤمن: أجل أنتم دعـاة التـحرّر تـدعون النسـاء ان لم يـعجب مزاجهنّ الحمل أو أي أمر تافه آخر مثلاً ان الحمل يؤثّر على صبغ أظافر الإصبع الصغير من رجلها اليسرى فـلا بأس عـليها بـل تشـجّعها عـلى الاجهاض وقتل الطفل، فما أشد دفاعكم عن الأم وحبكم لمقامها؟! على كلّ حال إنّ النساء اللواتي تكون الجنّة تحت أقدامـهنّ اللائـي يـقدمن للمجتمع الانساني ثماراً طيبة تفتخر بهم البلاد ويفرح بهم العباد أو على الأقل يسلم المجتمع من ضررهم ويستنكفوا عـن ايـذاء الآخـرين، أمّـا اللاتي تكون أرحامهن مصنعاً لإخراج دعاة الكراهـيّة وبث الرعب بـين الناس من سوء تربيتهن ومن سفالة عقائدهنّ يزقنّ الوحشيّة والكفر زقاً في أطفالهنّ فهيهات أن تكون الجنّة تحت أقدامهنّ بل ترحّب بهنّ جهنّم فلو راجعت سجل المجرمين في أنحاء العالم لوجدت ان أكثرهم إجراماً جاء نتيجة ما لاقاه من تربية خاطئة على يد أمـه بـالذات ومـن أثـرها تدحرج في طبقات الظلم وصار بلاءً على المجتمع.

أليس لهؤلاء الأطفال حقّ علينا وحتى أُمّهاتهم؟

الملحد ضاحكاً: بأخذها جارية لك؟

المؤمن: لا أدّعي ذلك والإسلام منع منه وإنّما الرق يقع على اللواتي قتل أزواجهنّ بالحرب ضدّ الإسلام فلا يصحّ أن تترك المرأة وأطفالها وان تلجأ إلى دار كفر أُخرى وتبدأ بانتاج كفار مرّة ثانية يشعلون الحرب مع الإسلام بعد ما خمدت بل تؤخذ سبية وتكون تحت رأفة المسلمين وتدخل دورة تعليميّة لاستئصال الكفر والعناد منها، وهذه نعمة لها.

منزلة الجارية في الإسلام

يقول الإمام السجّاد عليه السلام في حقّ المملوكة: «وأمّا حقّ رعيتك بملك النكاح فان تعلم أنّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقية وكذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها...».

توجه المؤمن إلى المؤمن المتغرّب ينبهه قائلاً: أترى الامام يصفها انها نعمة وأنت تريد زوال النعمة لدستور العلمانيين والكفّار.

ثمّ التفت المؤمن إلى بقيّة الحضور مخاطباً لهم: ان السبي في الاسلام بمنزلة الزوجة إذ جعلها الامام سكناً يسكن إليه الرجل ويطمئن ويعيش معها ويستريح من هموم الدنيا عندها، والأهم من ذلك ان السبية يجب أن تحمد الله على هذه النعمة اذ بها تخرج من العقائد الضالّة إلى

الحق بتخلّصها من سلطة زوجها الكافر عـليها إلى رجـل رحـيم رؤوف يحسن صحبتها ويرفق بها ليعلمها معالم دين الله وحينها تستحقّ أن تكون الجنّة تحت أقدامها حينما تنشر نور العلم والمعرفة في أطفالها وتـخرج جيلاً يصنع الحضارات ويعم السلام في العالم، لأنّ الكفر يدعو إلى الحرب والخراب وشعاره الفوضى والاباحيّة ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُـمُ الْـفَقْرَ وَيَـأْمُرُكُـمْ بِالْفَحْشَاءِ**﴾[١] وأمّا الإسلام فيدعوا للسلام والخير بين الناس.

الملحد: كلّ هذه شعارات فارغة لا استسيغ سماعها، قل لي هـل يوجد من بين العبيد عندكم من فرح بسيّده وشكره على هـذه العـبوديّة حتّى أصدق كلامك بل العبوديّة عبارة أخرى عن الظلم، فما يمنع السيّد من ظلم عبيده مع عدم وجود قوانين رادعة كما في عصرنا المتنور؟

المؤمن: لو سبرنا غور الكتب باحثين عن نور الحق لنجدها مضيئة في سيرة أهل البيت عليهم السلام.

يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «إيّاك وظلم من لا يجد عليك نـاصراً إلّا الله...» انّها كلمة قيمة يلتزم بها شيعته الكرام.

تمعن في أفعال الإمام السجّاد مع عبيده هل‌ترى فيها من ظلم بـل كان العبيد هم من يسيئون إليه أحياناً فلم يعاقب أمة ولا عبداً إذا اقترف أحدهما ذنباً وإنّما كان يسجل اليوم الذي أذنبوا فيه فإذا كان آخر شـهر رمضان جمعهم وأظهر الكتاب الذي سجل فيه ذنوبهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا يا عليّ بن الحسين إنّ ربك قد أحصى عـليك كـلّ مـا

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٨.

عملت كما أحصيت علينا ما عملناه ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ممّا أتيت إلّا أحصاها وتجد كلّ ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضراً فاعف واصفح كما ترجو من المليك العفو وكما تجب أن يعفو المليك عنك فاعف عنّا تجده عفواً وبك رحيماً ولك غفوراً ولا يظلم ربّك أحداً، فاذكر يا عليّ بن الحسين ذلّ مقامك بين يدي ربّك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبّة من خردل ويأتي بها يوم القيامة وكفى بالله حسيباً وشهيداً فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح فانّه يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] وهو (الإمام) ينادي بذلك على نفسه ويلقّنهم وهم ينادون معه وهو (الإمام) واقف بينهم يبكي وينوح ويقول: «**رَبِّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنَا وَقَدْ عفَوْنَا عَمَّنْ ظَلَمَنَا كَمَا أَمَرْتَ فَاعْفُ عَنَّا فَإِنَّكَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا وَمِنَ الْمَأْمُورِينَ وَأَمَرْتَنَا أَنْ لا نَرُدَّ سَائِلاً عَنْ أَبْوَابِنَا وَقَدْ أَتَيْنَاكَ سُؤَّالاً وَمَسَاكِينَ وَقَدْ أَنَخْنَا بِفِنَائِكَ وَبِبَابِكَ نَطْلُبُ نَائِلَكَ وَمَعْرُوفَكَ وَعَطَاءَكَ فَامْنُنْ بِذَلِكَ عَلَيْنَا وَلا تُخَيِّبْنَا فَإِنَّكَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا وَمِنَ الْمَأْمُورِينَ إِلَهِي كَرُمْتَ فَأَكْرِمْنِي إِذْ كُنْتُ مِنْ سُؤَّالِكَ وَجُدْتَ بِالْمَعْرُوفِ فَاخْلِطْنِي بِأَهْلِ نَوَالِكَ يَا كَرِيمُ ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ قَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ فَهَلْ عَفَوْتُمْ عَنِّي وَمِمَّا كَانَ مِنِّي إِلَيْكُمْ مِنْ سُوءِ مَلَكَةٍ فَإِنِّي مَلِيكُ سُوءٍ لَئِيمٌ ظَالِمٌ مَمْلُوكٌ لِمَلِيكٍ كَرِيمٍ جَوَادٍ عَادِلٍ مُحْسِنٍ مُتَفَضِّلٍ فَيَقُولُونَ قَدْ عَفَوْنَا عَنْكَ يَا سَيِّدَنَا وَمَا أَسَأْتَ فَيَقُولُ لَهُمْ قُولُوا اللَّهُمَّ اعْفُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ كَمَا عَفَا عَنَّا**

(١) سورة النور: ٢٢.

فَأَعْتِقْهُ مِنَ النَّارِ كَمَا أَعْتَقَ رِقَابَنَا مِنَ الرِّقِّ فَيَقُولُونَ ذَلِكَ فَيَقُولُ اللَّهُمَّ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ اذْهَبُوا فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ وَأَعْتَقْتُ رِقَابَكُمْ رَجَاءً لِلْعَفْوِ عَنِّي وَعِتْقِ رَقَبَتِي فَيُعْتِقُهُمْ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْفِطْرِ أَجَازَهُمْ بِجَوَائِزَ تَصُونُهُمْ وَتُغْنِيهِمْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاس ».

يجمع علماء التربية ان أفضل طرق تربية وتعليم الانسان هو الطريق العملي، ان يعيش الانسان الاحداث التي تخرجه من الجهل ويتفاعل مع أمور وحوادث يخرج منها انساناً مجرّباً عالماً بالدهر وهو أحسن من تعليمه النظريّات على الورق، فالامام عمل مع عبيده بهذه السيرة الحسنة فالرق لا يراد لأجل الرق ولا ليكون الانسان عبداً بما فيه من أسر وحرمان من حسنات الحريّة بل هو مرحلة مؤقتة اجباريّة لأجله ليتعلم ويتربى خير تربية فالذل والانكسار من شروط التوبة والرجوع إلى الحق.

المرء إن أراد التوبة من ذنب عظيم لا يكفيه لقلقة اللسان بل لابدّ أن يتجرّع كأس الصبر ليتطهر من معصيته، هكذا تفعل العبوديّة في الإسلام بعد ما كان محارباً لا يقبل الإسلام بأيّ شكل أو لم تصله رسالة الإسلام بصورة صحيحة لأن صناديد الكفر بإعلامهم المزيف يحرفون الحقائق ويمنعون من ايصال صوت الإسلام إليهم.

وتعد المخابرات الكافرة إلى تشويه الإسلام بطرق حديثة فلا يكفي حينها مهما كتب المدافعون عن الإسلام وذبّوا عن حريمه لأنّ العوام هم بأمس حاجة إلى دروس عمليّة يعيشون فيها ويكونون محاور في هذه الدروس يأخذون ويعطون ليدخل الإسلام في أعماق وجودهم.

هذه هي سيرة أهل البيت مع عبيدهم لم يتّخذوهم لأجل اللهو واللعب أو لدر الربح في جيوبهم بل كانوا يتّخذونهم تلاميذ لمدرستهم بعد أن هجرها الأحرار، لعلّ الرقيق يكونوا أفلح فيها من الحر فلا تخلو مناسبة قيمة إلّا وأعطاهم درساً ثميناً في أُصول الإسلام وبعدها يتحرر مباشرة ليبدأ حياة جديدة.

يقول الرواة قد كان للامام السجادعليه السلام مملوك فدعاه مرّتين فلم يجبه وفي الثالثة قال له الإمام برفق ولطف يا بني أما سمعت صوتي؟

بلى.

لِم لم تجبني؟

أمنت منك.

فخرج الإمام وراح يحمد الله ويقول الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني.

قنبر مولى الامام عليّ بن أبي طالبعليه السلام

لعلي اكتفي بهذا المثال الوضّاح الذي يدلّ على القيمة المثاليّة للعبوديّة عندما تقع بأيادي الرحمة الخبيرة، انظر إلى قنبر فتى الإمام عليّ بن أبي طالب.

الملحد: ما معنى الفتى؟

المؤمن: قد نهانا الإسلام أن ننادي المماليك بالعبيد بل أدّبنا الإسلام أن نقول لهم الغلام والجارية، على كلّ حال ان قنبر اتّخذه الإمام

غلاماً له وهو لا يعلم من الإسلام شيئاً فبلغ بواسطة تربية الإمام له إلى درجة الخواص ومن أصحاب الدرجة الأولى للإمام عليه السلام، وقد زقّه الإمام العلم زقّاً، وهناك جم من الأحاديث القيمة رويت عن طريق قنبر ويعتمد عليها في تشريع القوانين الإسلاميّة، وكما ينقل المؤرّخون كان قنبر يحبّ الإمام حبّاً جمّاً حتّى بلغ به الحب أن يخاطر بأغلى ما عنده وهي حياته في سبيل سيّده، ولكن الامام نهاه عن ذلك ولم يرض أن يفديه بروحه، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان قنبر غلام علي يحبّ عليّاً حبّاً شديداً، فإذا خرج علي صلوات الله عليه خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر ما لك؟ فقال: جئت لأمشي خلفك يا أميرالمؤمنين فقال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض؟ فقال لا بل من أهل الأرض، فقال: انّ أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلّا باذن الله من السماء فارجع فرجع[1].

طبعاً كان خروج قنبر لحراسة الإمام في أواخر حياة الإمام حينما حاصرته المخاطر من كلّ جانب.

ومعلوم ان الحب قائم بطرفين، فالإمام علي عليه السلام كان يحبّ قنبر ويفضّله في الملبس والمأكل على نفسه، والأهم من هذه الأُمور الماديّة انّه جعله من أنصاره المقرّبين وأدخله في مدرسته الخاصّة.

اسمع هذه القصّة: يقول الشهيد السعيد الفتال النيسابوري في كتابه روضة الواعظين: إنّ أميرالمؤمنين أتى سوق الكرابيس فإذا هو برجل

---

(١) الكافي ٢ ـ ٦١.

وسيم فقال: يا هذا عندك ثوبان بخمسة دراهم، فوثب الرجل فقال يا أميرالمؤمنين عندي حاجتك فلما عرفه مضى عنه فوقف على غلام فقال: يا غلام عندك ثوبان بخمسة دراهم، قال: نعم عندي ثوبان فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم و الآخر بدرهمين فقال: يا قنبر خذ الذي بثلاثة دراهم، فقال: أنت أولى به تصعد المنبر وتخطب الناس قال: وأنت شباب ولك شره الشباب وأنا أستحيي من ربي أن أتفضل عليك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألبسوهم ممّا تلبسون وأطعموهم ممّا تأكلون، فلما لبس (الإمام) القميص مد يده في ردنه فإذا هو يفضل عن أصابعه، فقال: اقطع هذا الفضل فقطعه، فقال الغلام: هلم أكفه قال: دعه كما هو فإن الأمر أسرع من ذلك[1].

وبقي متفانياً في عشقه لمولاه وسيّده عليّ بن أبي طالب عليه السلام حتّى آخر رمق من حياته، فإن نهاه الإمام مرّة بالمخاطرة بحياته في سبيله، لكن هذه المرّة مشى بقدميه إلى سفك دمه في سبيل محبوبه، فعن أبي الحسن عليه السلام: إن قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام أدخل على الحجاج بن يوسف فقال له: ما الذي كنت تلي من أمر علي بن أبي طالب؟ قال: كنت أوضّيه، فقال له: ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟ قال: كان يتلو هذه الآية ﴿فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ أَبْوٰابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّٰى إِذٰا فَرِحُوا بِمٰا أُوتُوا أَخَذْنٰاهُمْ بَغْتَةً فَإِذٰا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دٰابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ﴾ فقال الحجاج: كان يتأولها علينا؟ فقال: نعم، فقال: ما أنت

(١) روضةالواعظين: ١٠٧/١.

صانع إذا ضربت علاوتك قال: إذا أسعد و تشقى فأمر به فقتله[1].

قد تعلم في مدرسة الإمام الشجاعة ورباطة الجأش في مواجهة الظالمين، ولم ترجف قدماه أمام الطواغيت، انّها صورة مشرقة من العبوديّة في الإسلام.

وصيّة الإسلام بالعبيد

أوصى الإسلام بالعبيد كثيراً وأولى لهم اهتماماً خاصّاً حيث ساواهم مع ساداتهم في الملبس والمأكل وأمر بتعليمهم الدين الحنيف ومن ثمّ يحرروا ليرجعوا مبلغين ويشيعوا التعاليم الفطريّة بين أقوامهم، وقد وصل الإسلام بتعاليمه ذروة الكمال فلم يجعل مجالاً لأحد أن يحتجّ يوم القيامة انّه لم يعلم بأيّ سبب كان حتّى لو احتجّ ان رؤساءه الطواغيت منعوا من وصول رسالة الحق إليه، فأمر الله المسلمين بإنقاذ عباده من القبضة الحديدية للجبابرة بالجهاد وبذل النفس في سبيل هداية المستضعفين ومن ثمّ ادخالهم في دورة تعليميّة اجباريّة حتّى تتشكل نفوسهم من جديد وينسوا الموروث القديم، وهذه الدورة التعليميّة يرافقها الرفق والشفقة فإنّ أفضل وسائل التعليم ما صاحبها الإحسان بالمتعلّم حتّى لو جاوز الحد وارتكب الكبائر يرأف بحاله فلهذا تجد ان حد الحر يختلف عن حد العبد، ففي تفسير القمّي في الآية الشريفة: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ

(١) تفسير العياشي: ٣٥٩/١.

﴿نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾[١] قال: يعني به العبيد والاماء إذا زنيا ضربا نصف الحد فمن عاد فمثل ذلك حتّى يفعلوا ذلك ثماني مرّات ففي الثامنة يقتلون، قال الإمام الصادق عليه السلام: وإنّما صار يقتل في الثامنة لأنّ الله رحمه أن يجمع عليه ربق الرق وحدّ الحر[٢].

مع ان الحرة تقتل إن كان لها زوج ولكن الأمة تجلد نصف الحد كان لها زوج أو لم يكن لها زوج[٣].

وبهذا ننهي حديثنا عن مسألة العبيد.

زوجات العبيد

الملحد: أترى نفسك قد أفلتّ من قبضتي، هيهات فلي قاصمة تقصم ظهرك، دينكم يحلل اغتصاب زوجات العبيد، فقد جاء في كتبكم عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عن قول الله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ هو أن يأمر الرجل عبده وتحته أمته فيقول له: اعتزل امرأتك ولا تقربها، ثمّ يحبسها عنه حتّى تحيض ثمّ يمسها فاذا حاضت بعد مسه اياها ردها عليه بغير نكاح[٤].

ويقول صاحبكم المعظم أنس بن مالك: والمحصنات من النساء

(١) سورة النساء (٤): ٢٥.

(٢) تفسير القمي ٨٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢٤/٤.

(٤) وسائل الشيعة: ١٦٥/٢١.

ذوات الأزواج الحرائر حرام إلّا ما ملكت أيمانكم لا يرى بأساً أن ينزع الرجل جاريته، وفي رواية الكشميهني جارية من عبده فإذا هو لا يرى بما ملك اليمين بأساً أن ينزع الرجل الجارية من عبده فيطأها(١).

المؤمن: أمّا بالنسبة إلى ما نقلته من كتاب وسائل الشيعة فتوجد أحاديث أخرى معارضة لما نقلته.

الملحد: ولماذا يوجد في كتبكم أحاديث كثيرة متعارضة فيما بينها.

المؤمن: للظروف السياسيّة السيئة التي مرّت على الشيعة.

فالخليفة ان رأى وحدة الشيعة والوحدة تساوي القوّة تكالب عليهم حتى ينهيهم، فكان على سادة الشيعة أن يظهروا لمخالفيهم ضعف عقيدة الشيعة في الظاهر ليتركوهم وشأنهم.

فقد روي عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن مسألة فأجابني، قال: ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلمّا خرج الرجلان قلت: يا ابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتك قدما يسألان فأجبت كل واحد منها بغير ما أجبت به الآخر؟ قال: فقال: يا زرارة إن هذا خير لنا و أبقى لنا ولكم ولو اجتمعتم على أمر واحد لقصدكم الناس ولكن أقل لبقائنا وبقائكم، قال: فقلت لأبي عبدالله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم

(١) موسوعة الحديث.

مختلفين، قال: فسكت، فأعدت عليه ثلاث مرات، فأجابني بمثل أبيه[١].

لنرجع إلى الحديث المروي عن محمّد بن مسلم فله معارض من أحاديث أخرى، فعن عليّ بن سليمان قال: كتبت إلى الامام: رجل له غلام وجارية، زوّج غلامه جاريته ثمّ وقع عليها سيّدها، هل يجب في ذلك شيء؟ قال: لا ينبغي له أن يمسّها حتّى يطلّقها الغلام[٢] فجعل الطلاق بيد الغلام وهي تخالف حديث محمّد بن مسلم، وكذلك ما روي عن مسعدة بن زياد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: يحرم من الإماء عشر: من ضمنها ولا أمتك ولها زوج[٣] وعن أبي الصباح الكناني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا بيعت الأمة ولها زوج فالذي اشتراها بالخيار ان شاء فرق بينهما وإن شاء تركها معه، فإن تركها معه فليس له أن يفرق بينهما بعد التراضي[٤].

الملحد: فما المرجح؟ ولماذا ترجح هذه الروايات على تلك؟

المؤمن: هناك قاعدة في علم الأُصول: كلما اجتمع ظهوران وكان أحدهما أقوى فيقدم الأقوى وينصرف في الظاهر لحساب الأظهر وهنا ظهور الرواية الآتية حاكم على الروايات السابقة.

فقد روي عن عبيد بن زرارة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام ان الناس

(١) الكافي: ٨٦/١.
(٢) وسائل الشيعة: ١٤٧/٢١.
(٣) مستدرك الوسائل: ٤٢٢/١٤.
(٤) وسائل الشيعة: ١٥٧/٢١.

يروون انّ عليّاً كتب إلى عامله بالمدائن أن يشتري له جارية، فاشتراها وبعث بها إليه وكتب إليه أن لها زوجاً، فكتب إليه عليّ أن يشتري بضعها فاشتراه، فقال الامام (رداً على ما نقل عن الإمام علي): كذبوا على علي أعلي يقول هذا؟[1]

ولا شكّ ان الحديث يبطل العمل بتلك الأحاديث لأنّه ناظر إليها ويحكم عليها بالكذب والبطلان فما أكثر ممّا وضع على لسان أهل البيت عليهم السلام كذباً وزوراً.

العبوديّة لا ضروريّة من ضروريّات الدين ولا واجبة في الفروع الفقهيّة

الملحد: معنى كلامك لوجرت حرب الان بينكم وبيننا تأخذوننا عبيداً وتضعون المواثيق الدوليّة تحت أرجلكم؟

المؤمن: لو عملنا ذلك يا ترى ما يكون موقفكم حينها؟ العبوديّة دليلها الشرعي هو سيرة المعصومين عليهم السلام وامضاؤهم لتلك السيرة دلالة على جوازها، وبالتالي الذي يؤخذ من السيرة هو القدر المتيقّن منها وهو الإباحة، وكما نعلم ان المباح غير لازم فليس من الواجب علينا لو اشتعلت المعركة بيننا أن نأخذكم عبيداً، والأمر المتيقن الآخر ان أمر الحرب بكل تبعاتها تقع على عاتق الامام المعصوم عليه السلام فهو ان رأى ان

---

(١) الكافي: ٥/٦٩٤.

حكماً ما يضر بمصلحة الدين وأهله له أن يوقفه كما جرى في معركة الجمل، فالامام علي عليه السلام لم يتخذ النواصب عبيداً لعلمه عليه السلام بعاقبة الأمر، فعن أبي بكر الحضرمي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لسيرة علي في أهل البصرة كانت خيراً لشيعته ممّا طلعت عليه الشمس، انه علم أن للقوم دولة فلو سباهم لسبيت شيعته[1] وهذا دليل آخر على حرمة الجهاد عند الشيعة، فمن أين لهم بإمام يعلم مكنون الغيب ويجري الأحكام الشرعيّة بالغة الدقّة بمنتهى الحذر والحيطة.

المؤمن المتغرب: انتفض قائماً وصاح قد ظهر الحق وزهق الباطل الان رجعت لقولي ولحكمي.

المؤمن: كلا فللحديث بقيّة يسأل السائل الإمام فأخبرني عن القائم يسير بسيرته؟ قال: لا إنّ عليّاً عليه السلام سار فيهم بالمن لما علم من دولتهم وإن القائم يسير فيهم بخلاف تلك السيرة لأنّه لا دولة لهم. انتهى.

وإنّما مقصودي ان العبوديّة ليست كصلاة مثلاً لازمة من لوازم الجهاد، بل هي أمر مباح ان شاء الامام سبى أو عفا، فالأمر ليس كما يتصوّر.

وعليك أن لا تخجل من دينك لأجل العيون الزرقاء.

المؤمن المتغرب: بل لأجل الحكمة والتعقّل السائدين بكثرة عندهم، فالأولى لنا أن نرجع إلى المواثيق الدوليّة لأنّها مبتنية على أساس

(١) وسائل الشيعة ٧٤/١٥.

عقلاني رصين، فهل بوسعك أن تنكر فائدة أضوية المرور في تنظيم سير المركبات مثلاً؟

المؤمن: أوّلاً: انّ الاسلام أمرنا بتنظيم أُمورنا، فقد ورد في الوصيّة الأخيرة للامام عليّ عليه السلام يخاطب بها شيعته: «أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم...»[1].

ان التنظيم والترتيب أمر ارشادي يهتدي إليه العقل.

الملحد: فما بال أمركم متشتت وترتيبكم مبعثر.

المؤمن: هذا من ضعف عقول المسلمين وتدنّي همتهم وكثرة نزاعاتهم، وأمّا الدين كشريعة مستقلّة فهي مبنية على قواعد محكمة لا يتخلّلها نقص وإنّما النقصان راجع إلى المسلمين في عدم العمل بالشريعة فلو أظهروا محاسن كلام أهل البيت عليهم السلام وعملوا بها وتركوا العقائد الشرقيّة والغربيّة لكانت حضارتهم يشد إليها الرحال من مختلف أقطار الأرض باحثين فيها عن لجوء انساني ليتنعموا بنعيمها، ولكانت تصدر المواثيق المحكمة المفيدة من عاصمتهم يتطلّع إليها جميع البشر ولكن وا أسفاه من قحط العلماء وقلّة ذوي اليهم العالية.

ثانياً: ان قياس قوانين المرور مع قوانين تحدّد مصير الحياة وتلغي الأحكام شرعيّة وتجعلها منسوخة هو قياس مع الفارق لا يختلف اثنان على عقلانيّة قوانين المرور ولكن هنا خلاف ضخم فيما يتعلق بباقي بنود المواثيق الدوليّة منها مسألة العبيد ومنها مسألة الحريّة المطلقة

---

(١) نهج البلاغة: ٢٧.

وغيرها من البنود التي هي محل نزاع بين العقلاء ولكن بما ان الخصم يملك القوّة النوويّة وقواته العسكريّة منتشرة في أرجاء الأرض فله فصل الخطاب، والغير اما ان يتبعه أو يُقتل أو يموت جوعاً.

المؤمن المتغرّب: فما فرقكم عن أبي بكر البغدادي؟

المؤمن: الاختلاف في الغايات فليس كلّ عمل يتشابه من حيث الظاهر مع الأعداء أو مع من يترفع الانسان عن التشبه بهم هو عمل مذموم وإلّا فلنمتنع عن الصلاة أيضاً لأنّ الدواعش يصلّون وحتى الدواعش حينما احتلوا مناطق معينة أقاموا نظاماً قضائيّاً ونظموا سلك الشرطة فهذه من الأُمور المتشابهة في كلّ الدول، فهل نكف عن العمل بها لأنّ الدواعش فعلوها مع أننا لا نسلّم بوجود مشابهة حتى في ظاهر الفعل مع الدواعش في مسألة العبيد، فقد مرت عليكم كيفيّة معاملة أهل بيت النبوّة عليهم السلام مع عبيدهم حتى انهم نهوا ان نطلق عليهم صفة العبوديّة.

ورأيت حسن المعاملة معهم بل كانت مدرسة تربويّة لنشوء جيل متعلم يرجع إلى بلده فيلزم زمام الأمور هناك ويقود الآلاف إلى بر الامان أما الدواعش فكان عملهم قتل الرجال الأسرى واستبقاء النساء لأجل النكاح فقط، وقد روت تلك النسوة بعد تحريرهن من قبل الشيعة كيف كان يسومونهم سوء العذاب وكانت غايتهم الجنس فقط، هذه العبوديّة في مدرسة أبيبكر البغدادي وهيهات أن تشابه بأيّ شكل من الاشكال المدرسة الجعفريّة، فأين الثرى من الثريا.

الفرق بين الإستعمار والجهاد

المؤمن المتغرب: أستشف من كلامك تبريراً للاستعمار، فالانجليز انطلقوا من نفس المنطلق الذي تنطلق منه، أو اسمح لي أن أقول ما تحاول أن تحمله على ديننا السمح.

المؤمن: ان الجهاد هو جود بالنفس لأجل الآخر حتى يدخل الجنّة، ورفع الموانع من طريقه كما اتّضح سابقاً، فالمسلم يضحي لأجل عيون غير المسلم ويقدم دمه قرباناً من أجل دخوله جنات تجري من تحتها الأنهار، وليس غاية المسلم هو الغنائم وإنّما هي مسألة ثانويّة تأخذ من المعاند المقتول وإنّما (الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة)[1] (والجهاد رواح إلى الله)[2] وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى (من كبار التابعين) قال: اني سمعت علياً عليه السلام يقول يوم لقينا أهل الشام: أيّها المؤمنون انّه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونوّر في قلبه اليقين)[3].

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) نهج البلاغة: ٤١١.

(٣) نهج البلاغة: ٨٧٠.

ان الغايات تختلف اختلافاً شاسعاً، ان اهداف الاستعمار (البريطاني خاصّة) لم تكن غايتهم تحسين حالة الناس بل جُلّ همهم صُرف لسرقة خيرات الناس فانتعشت بلدانهم وماتت بلداننا، خذ على سبيل المثال الملك المبجل لبريطانيا العظمى حين كنا جميعاً تحت رحمتها وخيراتنا هبة لها تفعل بنا ما تشاء نظرة اجماليّة لهذه العبوديّة تجعلك تكره اسم بريطانيا وتكره بيض البشرة وتكره حرف الباء وتكره كلّ شيء متعلّق بالانجليز فما الذي استفدنا منها؟

الملحد: يا لكم من وقحين كيف تنكر فضل الاستعمار على بلدانكم المختلفة وهي أخرجتكم من ظلمات الخرافات إلى نور العلم، اقرأ يا عزيزي حكايات كانتربري السودانيّة وانظر تفاني القوم البيض في سبيل هؤلاء الهمج السود، اقرا حكاية الطبيب الذي شافى شتى ألوان الأمراض بأنواعها المختلفة وأسهم في السيطرة على نوعين من الاوبئة وعالجوا العديد من الأمراض المنتشرة بين القبائل، اقرأ حكاية مفتش المركز وكان قومك يا مؤمن يتهربون من التطعيم وقد انتشر فيهم مرض الجدري فاستطاع المستعمر بحيلة ذكيّة أن يرغمهم على مدّ أذرعهم للفحص والتطعيم حيث ذهب المستعمر إلى مركز القضاء وكان يجري تحقيق قضائي حول تورط عدد من أعيان البلد في فضيحة اخلاقيّة، لذلك اكتظ فناء المركز بالمتفرجين فما كان من المستعمر إلا أن أمر فجأة باغلاق أبواب المركز ثم نودي على ممرضين في المستشفى ومعهم مصل وابر التطعيم، وأعلن انّه لن يسمح لأيّ شخص بالخروج ما لم يثبت انّه قد

تمّ تطعيمه، يا مؤمن لا تنظر إلى الأرض خجلاً هل تنكر هذه الوقائع.

المؤمن: لست ناكراً لوقائع لم أتأكد منها ولكن أنت كشفت عن عنقك طواعياً لسيفي فجنابك أثبت بجدارة تامة الفائدة الكبيرة للعبوديّة وان بعض الأقوام أقل تمدّناً وحضارة وعقلاً من أقوام اخرى متقدّمين عليهم في العلم والمعرفة، فعلى المتفوّق أن يمد يد العون إلى الداني ولو رفض الداني ان يستجيب لعمليّات الشفاء أجبره السيد والعالي في المعرفة على أخذ يد المساعدة والهداية الى الطريق القويم رغم أنفه، فلو لم يأتوا أسيادك البريطانيين بالقوّة وفتحوا بلداننا عنوة لما حصل لنا خير يذكر أليس هذا تدعيه؟

ولكن لو رجعنا إلى الكتاب المذكور لعثرت على فلتات لسان المستعمر حيث يقول في حكاية مفتشي المركز على لسان المستعمر انهم قبل أن يغادروا السودان إلى الأبد أحرقوا الوثائق السريّة التي إذا انتقلت إلى السياسي ربما تسببت في تسويد وجه الادارة (البريطانيّة) السابقة على حد تعبيره[1] يا ترى أيّ جرائم سوداء ارتكبوها ليخجلوا من إظهارها؟

لنرجع إلى قصّة ادوارد الثامن ملك المملكة المتّحدة وهو يكشف زيف ادعاء المدافعين عن الانجليز وحملتهم الاستعماريّة فهو يتعامل مع البريطانيين بوجه ودود ومفعم بالحب والشفقة عليهم حيث لا تستطيع روحه المفعمة بالعاطفة أن ترى قطرة دم واحدة تسيل من مواطن بريطاني

(١) حكايات كانتربري السودانية: ١٤٢.

وترى توتره في الاضراب الذي ضرب بلده في عهده فسعى بكل الوسائل أن ينهي المسألة بصورة سليمة، ويقول في مذكراته:

وهكذا أمكن التغلّب على كارثة اجتماعيّة خطيرة وبنفس الوسائل البريطانيّة التقليديّة وهي ان لا عنف ولا اراقة دماء واندمل جرح الاضراب دون أن يخلف وراءه أي شر(١).

ولكن هذه الرحمة والشفقة والحرص على لا عنف ولا اراقة دماء تنقلب إلى اللامبالاة وعدم الاكترات بما يحدث في مستعمراتهم فيحدثنا عن رحلته إلى الهند المستعمرة السخية، يقول: في يوم وصولي إلى بومباي أمر غاندي الشعب بأن يضرب ويمتنع عن استقبالي ويمتنع عن الاشتراك في الحفلات التي أقامتها الحكومة للترحيب بي، وسالت الدماء في الشوارع وحدثت مصادمات بين الهنود والمسلمين والمنبوذين على بُعد خطوات من الحفلات الصاخبة التي اقيمت لي(٢).

لنسافر الى ايران حيث احتلتها بريطانيا لسنين عديدة وفرضت سياستها عليهم، ما الصورة التي تركوها وراءهم وأي مصيبة نزلت على رؤوس الفرس من وراء الانجليز؟ مجاعة كارثية وقعت خلال سنوات الحرب العالميّة الأولى بين عامي ١٩١٧ و١٩١٩ واصابت معظم الأقاليم الايرانيّة أسفرت هذه المجاعة عن وفاة حوالي ٢٥٪ من مجموع السكان، ويدعي محمد غولي مجد الأستاذ في جامعة برينستون بأن عدد الضحايا

(١) قصة ملك: ٢٨.
(٢) قصة الملك: ٥٠.

كان حوالي ٨ ـ ١٠ ملايين شخصٍ وأن السبب الرئيسي في وقوع تلك المجاعة الكبرى هو وجود الاستعمار البريطاني الذي كان قاصداً متعمداً لخلق ظروف الابادة البشريّة وذلك للقضاء على ايران والتحكّم في البلاد تحكّماً تامّاً لمآربها الخاصة فقط، ويقول في كتابه (المجاعة الكبرى والابادة البشريّة في فارس) إن الوثائق الامريكيّة تبين أن البريطانيين منعوا استيراد القمح وغيره من حبوب الأغذية إلى إيران من العراق وبلدان آسيا الأخرى وأميركا وان السفن التي تحمل القمح إلى إيران منعت من تفريغ حمولتها انتهى.

هيا بنا نسافر في التاريخ الحديث الى البنغال التي كانت في قبضة البريطانيين، في كتابه عالم الغيب كتب جون فيسنك: ان المجاعة التي حدثت عام ١٧٧٠ في ولاية البنغال كانت أشدّ فتكاً بكثير من الطاعون الأسود الذي روع اوروبا في القرن الرابع عشر، في عام ١٧٦٥م وقعت معاهدة الله آباد وأخذت شركة الهند الشرقيّة مهمة جمع الجزية والاتاوات بين عشية وضحاها ارتفعت الاتاوات التي أصرّ البريطانيّون على تسميتها الاتاوات وليست ضرائب ارتفعت إلى ٥٠٪ على رغم من ان المجاعة قد حدثت في وقت مبكر من عام ١٧٧٠م، تابع الحكام الاستعماريون تجاهل أي تحذيرات بل رفعت شركة الهند الشرقيّة ضريبة الأراضي إلى ٦٠٪ من أجل تعويض العائدات التي فقدوها، مات كثير من الفلاحين، بعد أن تولى السلطة حكام المغول أصدر البريطانيون أوامر على نطاق واسع لزراعة المحاصيل النقديّة التي كانوا يستهدفون أن يتم تصديرها

فيما بعد، وهكذا فان المزارعين الذين اعتادوا زراعة الارز والخضروات باتوا مجبرين على زراعة النيلي الخشخاش والمحاصيل الأخـرى التـي حققت قيمة سوقيّة أعلى بالنسبة لهم ولكنّها لم تكن تسـمن مـن جـوع بالنسبة للسكّان المحرومين من الغذاء لم يكن هناك فائض في المحاصيل الصالحة للأكل في حال حدثت مجاعة، وكان هذا نتاجاً عن الاستراتيجيّة التي تستهدف الربح من دون الأخذ في الاعتبار حاجة السكان وهو مـا تبعته عواقب وخيمة، وعندما أرسلت حكـومة دلهـي بـرقيّة لونسـتون تشرشل رئيس الوزراء البرطاني وتنقل له صورة للدمار الفظيع لم يكـن رده الوحيد سوى لماذا لم يـمت غـاندي حـتّى الآن؟ (مـوقع سـلسلة بوست).

الجرائم الجنسيّة للاستعمار الفرنسي البريطاني

حوّلوا بلاد العرب التي احتلوها على الأخصّ مصر والجزائر ودول شمال الافريقيا إلى وكر للدعارة وجعلوها محلاً يستريح الجندي الغربي من أهوال الحروب من خلال افتتاح أكبر بيوت للعاهرات بالعالم، وكانوا يراعون الأذواق المتفاوتة فلم يكتفوا بالنساء العربيّات فـقط بـل جـلبوا مختلف النساء من مختلف البقاع المستعمرة وحتّى خلت أكثر البلدان من العاهرات لاجتماعهنّ إمّا في مصر أو الجزائر، ولم يـنسوا الشـواذ أيـضاً ووفروا لهم غلماناً للنكاح والتمتّع، وقد انتقد الجبرتي بـقسوة الانـحلال الخلقي للجنود الفرنسيّين فهم (لا يتورعون عن ممارسة الجنس مع أيّة

فتاة تطفئ شهوتهم)[1] وأعاد الجنود الانجليز بعد أن أخرجوا الفرنسيين (من مصر) سيرة أقراضم (فقد اشترى جنود من سلاح البحريّة في الاسكندريّة فتاة أحضرها تجّار العرب إلى السوق وملأت الفتاة السوق صراخاً أثناء المزاد غير أنّها ما لبثت أن هدأت بعد أن تقرّر مصيرها وتمّت الصفقة التي بلغت سبعة دولارات ثمّ ساقها الجنود بحبل إلى البحيرة حيث نُزعت عنها ملابسها ونظفت جيداً ليقودوها بعد ذلك إلى سفينتهم)[2].

لقد سلك الجنود البريطانيّون في فلسطين السلوك السيّء ذاته في ثلاثينيّات القرن العشرين، فقد صدرت إليهم الأوامر أثناء الثورة العربيّة بتفتيش بيت كلّ من يشتبه بايوائه مقاتلاً عربيّاً فسُلبت البيوت وتعرّضت النساء في كثير من الأوقات للإهانة، وفي واحدة من جولات التفتيش الشرسة في الخليل استجوبت الشرطة رجلاً سبعينيّاً سلب بيته، روى يقول: (لقد فتّشني رجال الشرطة الانجليز وسلبوني خمسة جنيهات وأربعون قرشاً فضّة وساعة اليد خاصتي ثمّ اصطفوا النساء والبنات فسألوهنّ عن أساميهنّ وهم يقولون كم هو المقدار اليوم؟ ويعلم الله ماذا كانوا يعنون بذلك ثمّ أخذوا يقومون بإشارات غير بريئة بمسدساتهم وعصيهم)[3].

---

(١) التصوّرات الجنسيّة عن الشرق الأوسط.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وقد كان موقف السلطات البريطانيّة تجاه حاجة الجنود إلى الجنس ينطوي على مفارقة ونفاق، ففي الوقت الذي اعترف فيه الايطاليون والفرنسيون بحاجة الافراد لممارسة الجنس فإنّ البريطانيّين حاولوا كنس هذا الأمر تحت السجّاد، ففي القاهرة شيّدت المواخير في إطار مشاريع خاصّة تكتنفها القذارة بصورة مُزرية، وعلى الرغم من ذلك فقد اعتاد الجنود ارتيادها طوال فترة الاحتلال (وقد عبّر الجنود الاستراليّون الذين اشتهروا بردّات فعلهم العنيفة خلال الحربين عن استيائهم من مستوى الخدمات التي تقدم في بيوت الدعارة وتشاجروا مع القوّادين، وكان المارّة إبان الحرب العالميّة الأولى يشاهدون المقاعد وآلات البيانو تقذف من النوافد، وقد قُذفت النساء الدميمات في بعض الأوقات)[١] وحين ارتفعت الغيرة عند بعض العرب وثاروا ضد طغيان الاستعمار فقد ظهر الوجه المرعب للغرب واستخدموا أكثر الوسائل فظاعة في السلب والنهب والاغتصاب، يصف ضابط فرنسي يُدعى دي كاستلين حملة كانت قد أرسلت لترويع المواطنين يقول (لقد مكثنا عدّة أيّام في هذا المعسكر نقتلع أشجار التين ونتلف المحاصيل ولم نبرح من المكان إلّا وقد بات طللاً، ولقد لقن هؤلاء الناس درساً قاسياً، فالعرب لا يفقهون إلّا لغة القوّة الصارمة بيد أن ثمّة رواية أكثر صراحة فيما يتّصل بمعاملة النساء أفضى بها ضابط شاب يدعى مونتغانو وهو قائد قوّة منتخبة اشتهرت برماة الموت، وقد كتب لصديقه قائلاً فيما يتّصل بسؤالك عن النساء اللاتي

(١) المصدر السابق.

نأسرهنّ فانّا نحتفظ بالقليل منهنّ كرهينات ونقايض الأُخريات بالخيول لنبيع ما تبقى آخر الأمر في المزاد العلني كالبهائم التـي تـخصّص لنـقل البضائع، وكنا نقع في صفوف هؤلاء النسوة على بعض الفاتنات فضلاً عن بعض الأطفال الجذّابـين، هـؤلاء الأطـفال المـثيرين فـعلاً بأجسـادهم الصغيرة، وإذا ما سمح المرء لنفسه بأن يرق قليلاً فقد كان ثمّة مشاهد في الأشهر الأربعة الأخيرة يتفطر لها الصخر، غير أن الواحد منا قادر عـلى النظر إلى ذلك ببرود ترتعد له الفرائض، إن هذه لهي الطريقة التي يـجب علينا أن نحارب بها العرب فنقتل كلّ رجل يجتاز الخامسة عشرة ونأخذ النساء والأطفال لنملأ بهم المراكب فإنّنا نبطش بكلّ من لا يتمرّغ متذلّلاً عند أقدامنا كالكلاب)[١].

وإن تقاعس المسلمون عن الدفاع عن أعراضهم فالله تـعالى كـان بالمرصاد للمحتلين وابتلاهم بمرض عضال فتك بكثير من جيوشهم (فقد تسبّبت هذه الأمراض بالقضاء على ألفين وأربعمائة وتسعة عشر رجـلاً فصدرت الأوامر بـإغراق النسـاء المـوبوءات)[٢] هـذا بـالنسبة للـجيش الفرنسي، أمّا البريطاني فقد قُدّر عدد المصابين بـ ٣٦٩ جندي مـن كـلّ ألف، وجاء في التقارير الطبيّة الخاصّة بـالأمراض الزهـريّة بأن (مـعظم الجنود أفادوا أنّهم تلقوا العدوى في بيوت الدعارة فيما قال معظم الضباط أن تلك الاصابات حاقت بهم في بيوت خاصّة ممّا يـمثل ادعـاءً زائـفاً

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

بالاستقامة) وأظهرت التقديرات الخاصّة بالأمراض التناسليّة إصابة ما نسبته ١٢٪ من القوّات البريطانيّة في مصر بهذه الأمراض، عام ١٩١٦ م كانت الأمراض الجنسيّة مشهداً مألوفاً في الحياة المصريّة وكان من المرجح أن يصاب المرء بالعدوى إذا ما أقام لمدّة طويلة فيما لاحظ سميت وقد مسّه الرعب من علامات الموت الذي حفرته الأمراض الزهريّة على أذرع الجنود الاستراليين والنيوزلنديين الذين أمضوا خدمتهم في فلسطين خلال الحرب العالميّة الأولى)[١].

ضع هذه الصورة الموجزة عن فضائع الغرب في قبال الصورة المشرقة عن كيفيّة معاملة أهل البيت عليهم السلام مع الأسرى، فلم يحدّثنا التاريخ عن شيوع الوباء بين جنود المسلمين الفاتحين أو فتح محلّات وبيوت للجنس، بل كان غاية الإسلام إدخال الناس في دين يدعو إلى العفاف والحشمة والحياء واجتناب الاثم والعدوان.

مناقشة بنود ميثاق الأُمم المتّحدة

حين احتدام النقاش بين المؤمن والآخرين كان يجلس شاب قد حلق شعره كأحد المشاهير في عالم الغناء وعلق على رقبته أنواع الاكسسورات مع ميك‌آب خفيف على وجهه وربما يكون أجمل من بعض بنات حيّنا ويشعّ على وجهه الضوء الأزرق، تارة يلتفت إلى ما يدور في

(١) المصدر السابق.

الجلسة من نقاش وتارة ينشغل بهاتفه النقّال غير مبال بما يجري ولكنّه لم يطق صبراً لما وصل الكلام إلى تاج رأسنا (على حد تعبيره طبعاً) بريطانيا العظمى والغرب المتطوّر فانتفض غاضباً وكاد أن يلقي هاتفه النقّال على الأرض وتفارق بذلك روحه في جهازه ومن حُسن حظ شعبنا المجيد ان التقطه في اللحظات الأخيرة وبذلك لم تخسر أمّتنا أحد شبابها العظماء فصرخ بوجهنا زهقت روحي من هذه المناظرة، أنتم يا رجال الدين بكلامكم واختلافاتكم سوف تخرجوننا من الدين فقد كرّهتمونا بالدين بتعنتكم وطائفيتكم، عليكم بتقليد الغرب وأن تتعلّموا منهم كيف تطوّرا ووصلوا إلى القمر وأنتم تناقشون مسألة العبيد التي عفّى عليها الزمان، يكفينا فخراً ان عظماء الغرب قد حلوا لنا هذه المصيبة العويصة، لو راجعتم لميثاق الامم المتّحدة العظمى لوجدتم انها تقول بشأن أسرى الحرب ما يلي: لا يكون احتجاز أسرى الحرب شكلاً من أشكال العقوبة وانما يهدف فقط إلى منع استمرار مشاركتهم في النزاع وبالتالي يجب اطلاق سراحهم واعادتهم الى أوطانهم دون ابطاء فور انتهاء العمليّات العدائية.

يا لها من كلمات يجب أن تدون بماء الذهب فهل لكم يا معشر الملالي رد على هذا؟

المؤمن: اني أرى ان هذا القانون تافه وصادر من عقل معطوب، أراد الشاب مهاجمة المؤمن لولا منع بعض الرجال إيّاه لحدث أمر مكروه ينهي المناظرة بحادث دموي، بقي المؤمن رابط الجأش في مكانه

وخاطب مهاجمه: أرجو منك الهدوء في جلسات الحوار، يجب عليك تحمل آراء الآخرين واطلب منك كما تقلد الغرب في ملابسك وشعرك وهذا السلوك الغريب كذلك تعلم منهم احترام آراء الآخرين فانتم لم تأخذوا منهم إلّا قصات الشعر المضحكة والسلوك الجنسي المخجل، وأمّا من العلم التجريبي فأنتم فارغون كلّ الفراغ على كلّ حال بالنسبة إلى هذا القانون فهو لا يحمي ذوي الضحايا والضعفاء لأنّه يأمر بإطلاق سراح المجرمين والمعتدين، في كلّ حرب يوجد معتدي ظالم ويوجد مظلوم معتدى عليه، فلو استطاع بشكل من الاشكال أن يأسر البلد (الذي هو على الحق) جماعة كبيرة من الجنود الجائرين وقص يد العدوان عن بلده وانتهت العمليّات العدوانيّة فكما يقضي قانون جنيف يجب إعادة هؤلاء المعتدين لبلادهم مرّة أُخرى هنا نطرح سؤالاً في غاية الأهميّة وهو ما الذي يضمن لنا انّ هؤلاء المعتدين لا يعاودون الكرة مرّة أخرى اما مع البلد الذي اعتدوا عليه أو على بلد ضعيف آخر كما حصل فعلاً مع جنود صدام التكريتي فبعد أن وضعت الحرب العراقيّة الايرانيّة أوزارها طبقت مقرّرات جنيف وأرجعوا الجنود البعثيين إلى العراق فاستعملهم صدام مرّة ثانية للإعتداء على جارته الأخرى الكويت... أحد الحضور قام وقال: ان الأمر لا يعدو أن يكون تبادلاً للأسرى.

المؤمن: اني على علم بذلك ولكن تبقى الإشكالية على قوتها في حوادث أخرى لأن إعادة المجرم إلى بلده الجائر هو عبارة أخرى عن اطلاق سراح مغتصب الأطفال ليكرّر فعلته الشنيعة مرّة ثانية، فهل يعقل

أن نطلق سراح المجرمين من السجون؟ ما الفرق بين هؤلاء والمجرمين الذين نقبض عليهم لأجل قتل زوجاتهم لأنّهم لم يعجبهم الأكل الذي أعددنه لهم أو من يقتلون جارهم لأنّهم لم يعجبهم طريقة مشيه، فالمجرم يحجر عليه لأنّه خطر على المجتمع وكذلك الجندي الذي يستغل من قبل مجرم أكبر منه بإعادته يعيد مشهد الجريمة في مكان آخر وفيما تسجنه لفترة معينة كما يقول قانون جنيف لحين انتهاء عدوان دولته في هذه الفترة لم تتغيّر روحه السفاكة للدماء وفكره العدواني المعشعش في نفسه فهو بعدما أرجع لبلده يحمل نفس الايديولوجيّة والعقليّة التي من أجلها دخل في الحرب مع بلد آخر، فهل تغير شيء يضمن عدم عودته آلة للعدوان؟ ألا يحتمل قويّاً أنّه يعود يشارك في الصفوف الأولى لمعارك ظالمة يقررها سادته لسرقة بلدان أخرى؟ لهذا وغيره يلزم ضروريّاً ان يدخل هؤلاء في مدرسة العبوديّة لمدّة طويلة أو قصيرة (حسب الأسير نفسه ومدى قابليّته للتغيير) حتّى يتخلّص من غسيل الدماغ الذي أجري عليه في بلده ويتحوّل إلى إنسان آخر، اما مجرد سجنه لمدّة محدودة مع اعطائه الأكل والشرب الجيّد فإنّك تسمن عدوك لينقضّ عليك في أقرب فرصة.

الشاب الغربي: اذن دينكم يأمركم بتجويعهم؟

المؤمن: إنّي لا أقول ان نجوعهم أو نعريهم، وقد مرّ كيف أمر الاسلام أن يتعامل مع الأسير ولكنّي ادّعي انّه يجب تغيير الأفكار والعقليّة التي بموجبها حمل هذا الشاب السلاح في وجه الأبرياء ما لم تنقلب روحه العدوانيّة إلى روح مسالمة ويستطيع أن يميز بين الحق والباطل وإلّا

فإنّك تطلق سراح حيوان وحشي سجيّته الذبح والقتل، واعرف ان البعض يصعب تغييره، لأجل هؤلاء وضعت العبوديّة حتّى يسلب منه جميع اختياراته ولا يملك من نفسه أدنى شيء وبذلك يمكن لمعلّم جيد أن يمسح المفاهيم الخاطئة من هذا الأسير، فما أكثر من يعيش في أجواء الظلمانيّة التامّة لا تصل إليه نسمة من النور قد أحكمت قوى الشر سد جميع المنافذ على اتباعها، فترى هذا الانسان المسكين يولد في أسرة مشبعة بإشاعات مغلوطة عن الحق وثمّ يذهب إلى المدرسة ويملأون رأسه بالتفاهات الالحاديّة وإن جلس أمام التلفاز فلا يرى إلّا الأكاذيب وأينما يوجه وجهه في مجتمعه فلا يرى ولا يسمع إلّا بغض دين الحق وتتاح له كلّ وسائل الابتعاد عن الله من الخمر والشذوذ الجنسي والمغريات الدنيويّة التي تحثّه على الركض لها طول حياته، إلّا يستحق هكذا إنسان مظلوم الهداية؟ ألا يستحقّ أن يعرف ربّه؟ ألا يجدر بنا أن نشحذ الهمم لنريه الحق؟

الشاب الغاضب: تهديه بسلب جميع حريته؟

المؤمن: إنّما العبوديّة هي المرحلة الأخيرة للذين لم يفد معهم النصح والارشاد، الذين أقيمت عليهم الحجّة أيقنوا ان الاسلام دين الحق الذي يجب اتّخاذه منهجاً في الحياة ولكنّهم أصرّوا على الباطل.

الشابّ: فلماذا لا تتحرّكون لفتح البلدان؟

المؤمن: تكرّر هذا السؤال كثيراً كما قلت في المذهب الشيعي ليس باستطاعة أحد اقامة الحجّة المطلقة غير الإمام المعصوم، ومن الأدلّة

قول أميرالمؤمنين عليه السلام بشأن الخوارج: لا تقاتلوا (تقتلوا) الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه[1].

فلا يمكن لغير الإمام أن يقيم الحجّة على من اشتبه عليهم الأمر وظنّ انّه على الحق المبين، ومن مثل عليٍّ بقادر بمعجزة بيانه وقوّة برهانه أن يقلص جيشاً يتألّف من اثنى عشر ألفاً الى أربعة آلاف فقط ويتوب هذا الكم الهائل من الأعداء ويقلبهم إلى أنصاره، تعرفون عمّن نتكلّم، نحن نتحدّث عن أجداد وسادة الدواعش أي منا باستطاعته أن يغيّر من عقيدة داعشي واحد فقط فما بالك بدواعش عصر عليّ عليه السلام الذين كانوا أصلب عوداً في التمسّك بمبادئهم.

الشابّ مستغرباً: هل أنت من جماعة الصرخي وتريد أن تتآلف مع الدواعش أو تتركهم ليقطعوا رأسك؟

المؤمن: والعياذ بالله كلا قد أخطأت الظن، الداعشي مصداق آية ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[2]، دواء الداعشي القتل يجب أن يمحى قبل أن يتكاثر وإنّما مقصودي ان نغزو بلدهم الحجاز ونقلع رأس الحيّة، فهذا ما منعنا منه في عصر الغيبة الكبرى، أمّا الدفاع عن النفس فهو مشروع وهو واجب عقلي.

وقبل أن أختم هل لي أن أسألك عن أعمال الملحدين حين انتصروا على خصومهم.

(١) نهج البلاغة: ٨٠.

(٢) سورة البقرة (٢): ١٩١.

حينما ينتصر الإلحاد

ماذا فعلت روسيا الملحدة عندما تمكنت من ألمانيا الملحدة؟ أيّ بلاء صبّته على رؤوس الألمان المهزومين، لنقل بقايا الألمان من النساء والأطفال والعجائز، هل تشكّ في كفر ستالين ودعـوته للإلحـاد؟ مـاذا فعلت الشيوعيّة الكافرة في آفاق الأرض؟ ماذا فعلوا بالنساء الالمانيّات والجنود الالمان الأسرى عندها؟

ما عليك إلّا قراءة كتاب امرأة في برلين للكاتبة والصحفيّة الالمانيّة مارتاهيراسي لتعرف حجم المعاناة أمّا ما مصير الرجال الالمان في سيبريا فغامض ومخيف، بإمكانك أن تقرأ يوميّات مهندس الطـباعة المـنساوي الذي انتقد نظام ستالين ممّا أثـار حـفيظة أجـهزة الدولة التـي ألقت بـه لعشرين عاماً في جحيم سيبريا وهو يحدثك ما جـرى له فـي يـومياته بعنوان (٧٠٠٠ يوم في سيبريا).

المؤمن المتغرّب: يا حبّذا لو ذكرت لنا نموذجاً ممّا جرى فـلا وقت لنا لمراجعة المكاتب!

المؤمن: كما قلت هناك مصادر كثيرة للمراجعة من ضمنها كتاب (أرخبيل الغولاغ) للسجين سولجذستين أو كتاب عودة ضحايا الغولاغ لستيفن كوهين ومنها (أصوات الغولاغ) للكاتبة آن أبلبوم واذكـر هـذا المـثال المـؤلم لإحـدى الشـاهدات عـلى ظـلم المـلحدين وهـي (هافافولوفيتش) مـحرّرة صـحيفة اعـتقلت عـام ١٩٣٧ وأرسـلت إلى معتقلات الغولاغ بسبب انتقادها لمشروع المزارع التعاونيّة في أوكرانـيا،

وعاشت في المعتقل لمدّة ١٦ عاماً، وأصبحت واحدة من آلاف النساء اللواتي حملن سفاحاً داخل المعتقل أنجبت طفلة أسمتها (إلينور) تحدّثنا عن تجربتها قائلة: كان هناك ثلاث أُمّهات في تكنتناوتم اعطاؤنا غرفة صغيرة خاصّة بنا كنا نسهر الليل نبعد البق المتساقط من السقف كالرمل عن أطفالنا، وفي النهار كنا نذهب للعمل فنتركهم مع امرأة عجوز مقعدة فما كادت الينور تمشي أوّل خطواتها وتنطق أوّل كلماتها (ماما) حتّى ألبسونا خرقاً من الثياب رغم برودة الجو ثمّ وضعنا في سيارة شحن ونقلنا إلى المعتقل الرئيسي هناك، كان متوقعاً أن أعمل في قطع الأشجار في الغابة فيما كنت أترك ملاكي الصغير في ملجأ أطفال المعتقل وسرعان ما تحولت طفلتي إلى شبح شاحب مع خيال ازرق يظلل عينيها وبثور مؤلمة تغطي شفتيها، لم أفهم سبب شحوب وذبول ابنتي حتى أصبحت ذات يوم بالتهاب في المثانة وألم رهيب في الظهر فأعفوني من العمل ذلك اليوم ومقابل حزمة من الحطب قدمتها للحراس كرشوة سمحوا لي أن أختلس النظر إلى طفلتي من نافذة الملجأ وليتني لم أفعل، لقد رأيت الممرضات يدفعن ويركلن الأطفال من أسرّتهم ثمّ يقمن بغسلهم بالماء المثلج، ورأيت ممرضة تمسك بأقرب طفل إليها وتلوي ذراعه ثمّ تدفع ملعقة بعد أخرى من العصيدة الملتهبة إلى داخل فمه، كانوا يقتلونهم بالتدريج، صغيرتي الينور بدأت تذبل بسرعة، قالت: ماما اريد العودة للمنزل، قالتها وهي تبكي في احدى الليالي، جسدها الصغير كان مغطّى بكلمات غامضة، وفي اليوم الأخير من حياتها عندما وضعتها على

صدري لإرضاعها نظرت بعينيها الواسعتين بعيداً، أشاحت بـوجهها عـن صدري وتوسّلت أن أضعها أرضاً...

الملحد: هذا لا يمثل الإلحاد النقي؟

المؤمن: ليتني أعرف من يمثلكم هل هو ملقي القنابل النووية على الأبرياء أو الدب الروسي، من؟

لكني استغرب ممّن يدّعون الدين والايمان فـي العـراق ويـضعون عمامة رسول الله ﷺ أمثال هؤلاء الذين يدعون ان الدين يقود الشـعوب كيف يتحالفون مع أبناء من يدّعون أنّ الدين أفيون الشعب، بأيّ مـنطق تضع يدك مع من يبرر جرائم ستالين الكافر؟

الملحد: اتركني من خلافاتكم التي لا تـنتهي، ولكـن أنـتم بأيّ منطق تفرضون دينكم على الآخرين؟

حريّة المعتقد

الملحد: العقيدة التي يعتقد بها الانسان حقيقة ساكنة في قلبه قبل عقله، قال أحد رجال الدين ان العالم الهندوسي وصل إلى ارقى درجات العلم لكن لا زال ضحل العقل يقدس البقرة، لو سألنا عالم الذرّة الهندوسي عن الكيفيّة التي يعقل بها تقديس البقرة لوجدنا لديه أكثر من جواب وألف مبرّر منطقي، بل سيتعجب كيف أنّنا لا نجد في البقر قدسيّة! وفي نفس الوقت قد نجد رجل دين هندوسي يقول: هناك عالم ذرّة مسلم وصل إلى أرقى درجات العلم ولا زال يقدس حجراً ويدور حوله في وقت معين من

السنة ويسمّون هذه الطقوس بالحج، المسلم يملك حقيقة مطلقة يدافع عنها والهندوسي يملك حققة مطلقة يدافع عنها، وكلّ عقيدة هي حقيقة مطلقة في قلوب وعقول معتنقيها، الشعور بالاشمئزاز يكون منبعه احياناً عدم الإعتياد ليس أكثر، وتقبل شيء معين يكون منبعه أحياناً الاعتياد عليه حيت نتحدث عن حرق الهندوس للموتى نشعر بالغثيان وقد يكون هذا هو شعور الهندوسي حين يتحدّثون عن دفننا للموتى.

قامت عالمة الانتروبولوجيا بيث كونكين بمعايشة مع قبيلة (واري) في البرازيل وهي من قبائل آكلي لحوم البشر يأكلون لحوم موتاهم وتوقفوا عن تلك العادة في ستّينات القرن الماضي وتحولوا بعدها إلى دفن موتاهم، استنتجت الباحثة بعد أن مكثت بين أفراد القبيلة ان سبب أكل هؤلاء لأمواتهم ليس وحشيتهم بل دافع الحب لديهم، لأن هناك أفكار ما ورائيّة تجعلهم يظنون ان أكل لحم الميت يجعله جزءاً منهم أو يجعل روحه تحيا معهم، النظام الديموقراطي الحقيقي يضمن للانسان حقه في تحديد خياراته الشخصيّة.

المؤمن المغترب: هل تريدها فوضى كلّ انسان يفعل ما يحلوله؟

الملحد: ما نتحدّث عنه هو الأُمور الشخصيّة التي لا تؤثر على الآخرين.

المؤمن المتغرب: عندنا الحجاب يتداخل مع حريّات الآخرين، فمن لا ترتيده تؤثّر على الشباب وتغريهم، فلماذا تكرهون الحجاب؟

الملحد: دينكم يقول غضّوا أبصاركم...

المؤمن: ما تقوله يتعدى مرحلة غض البصر الى العمى التام، فلو فرضنا ان اغلبيّة النساء متبرجات يظهرن زينتهن للجميع، فكيف يمكن للانسان أن يغض بصره، فأما أن تدهسه سيارة أو يقع في حفرة أو يصطدم بجدار، هنا تعالت الضحكات من الحضور ويخجل الملحد ويحاول جمع نفسه ويصيح قائلاً:

لا اتخيّل وجود اله يريد أن تطبق الناس أوامره قسراً وكرهاً.

المؤمن: يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ ويقول سبحانه: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ إنّما تفرض الأوامر لأجل الناس فمن مُنع من الشر سوف يشكر مانعه يوماً ما.

الفرق بين الأديان

لنرجع إلى مسألة الأديان وما تدعيه من عدم وجود فارق في الأديان وإنها كلّها سواسية في عدم المعقوليّة وضربت مثل تقديس الهندوس للبقر وإنّها لا فرق بينها وبين طقوس الحج، التساؤلات المطروحة ما معنى التقديس؟

وهل كلّ شعائر الأديان متساوية من حيث المضمون والغايات؟

هل الإنسان له حريّة اختراع أيّ معتقد يشاء والتدين به؟ هل الهندوس يقدسون البقرة أو يعبدوها؟

ان الذي يرمي اليه الملحد هو حصر جميع الأديان في زاوية واحدة وهي خانة الجنون واللاعقلانيّة ثمّ رميهما في سلة المهملات انّه ينظر بالنظرة السطحيّة لكلّ شيء، فلو دخلنا في موضع الاجابة والتدقيق عن السؤال الأوّل ونعرف ما معنى أن يكون شيئاً ما مقدّساً؟ لاتضح بعض جوانب الحقيقة.

معنى كلمة قدس هو الطهر والطهارة تأتي من التنزيه عن النواقص أن يكون الشيء بالغ الكمال لا يوجد فيه أي نقص، فيقال لله تعالى (قدوس) الآن لو جئنا إلى البقرة وموسم الحج أيّهما طاهر نزيه عن النقص.

لا اشكال ان البقرة لها فوائد جمّة كباقي الحيوانات مثل القطّة ولعلّ القطّة عند المصريّين القدامى أكثر نفعاً من البقرة لأنّهم كانوا يعيشون على المحاصيل الزراعيّة وهي تحتاج إلى التخزين وهو بدوره بحاجة إلى الحفظ من الآفات التي تعترضه من الفئران والجرذان (والقطط المستأنسة هي التي تصدّت لقتلها ومنعت هذه الآفات من غزو الحقول المصريّة ومخازن الحبوب، فلهذا كما ذكر في الموسوعة العربيّة المعاصرة ان في القرن السادس عشر قبل الميلاد قدّس المصريّون القدماء القطط فعبدوا إله الحب والخصوبة المسمى باستيت على هيئة رأس قط وجسم امرأة وكان المصريّون يعاقبون كلّ من يؤذي قطّاً بعقوبة تصل إلى حدّ الموت (كما

يفعل اخوانهم الهندوس اليوم في الهند) وعندما يموت قط كانوا يحلقون حواجبهم علامة على الحداد ويحولون القطط الميتة إلى مومياوات، على كلّ حال بالنظرة العقلانية تكشف ان تقديس وعبادة بعض الحيوانات إنّما جاءت من أثر الفوائد التي يجنيها البشر منها فيحولها ضعيف العقل إلى إله يعبدها أو يرفعها على مقام الانسان ويجعل نفسه دونها، انها العقليّة البدائيّة المتخلفة التي ما ان رأت نفعاً ماديّاً يملأ بطنها حتّى قدسته وعبدته وتوظف الدين لأجل المادّة كما قدّست وعبدت الشمس والقمر والأفلاك وكلّ مظهر من الطبيعة يثير دهشتها، وما يثير الغرابة أن يجعل من يدعي التنوّر والعلم يضع الخرافة الماديّة في مصاف الحقيقة الروحانيّة، الناس عبيد الدنيا كما يصف الامام الحسين عليه السلام.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[١].

الآخرة تمثل كلّ ما هو روحاني مجرّد عن المادّة فأين من يصبح الصباح فيرى البقرة ويحلب منها الحليب ويشرب حدّ الشبع وليس له حاجة من الدنيا غير الأكل والشرب، فتكبر في عينيه البقرة ويصل به حدّ الجنون إلى عبادتها لأنّ الدنيا كلّ مآله والشبع والنكاح غايته، وأين هذا الموجود الحقير من ذلك الانسان الذي يترك أهله وماله وموطنه ويتخلّى عن ملابسه التي تميزه عن غيره ويلبس احراماً أبيضاً وثمّ يحلق شعره ويتوجّه بكلّ وجوده إلى الغيب إلى المجرّد التام إلى الله تعالى خالق كلّ شيء المنزّه عن جميع النواقص.

---

(١) سورة الروم (٣٠): ٧.

انظر إلى الامام الحسن بن عليعليه السلام كم مرّة ترك مدينة جده وحجّ ماشياًفي تلك الصحراء الملتهبة والرمال الحارقة رغم العجاج والعواصف الهائلة لم تثنِ عزمه كلّ الصعاب وتحمل آلام الصحراء لماذا؟

ألم يستطع أن يحجّ راكباً فلم هذه الآلام؟ ألأجل شربة أو أكلة ما أو للوصول الى جسد امرأة، هذه الغايات التي تحدو بالهندوسي وغيره إلى عبادة المادة تراها لا تساوي عند الإمام الحسنعليه السلام عفطة عنز، إنّ الاسلام يحاول من خلال طقوسه وشعائره إحياء الآخرة والغيب والتجرّد عن الدنيا، يريد أن يضع الانسان الدنيا وملذاتها تحت أرجله ويتوجه إلى ما فوق الرغبات الجسديّة، إذن هل الأديان كلّها نفس الشيء؟ من هنا تعرف الاجابة عن باقي الأسئلة، إنّ العقيدة التي تقدس البقرة لأجل حليبها ومنافعها هذه عقيدة السفلة من أهل الدنيا لأن أهل الدنيا على مراتب ودرجات متفاوتة، فالذي يقف فوق الهرم ينزّه نفسه عن عبادة ما يأكله ويشربه بل عبادته لذاته ويسخر الدنيا لأجل ملذاته، أما الذي يقدس الدنيا لأجل الدنيا فهو الشقي الذي حرم نفسه من الدنيا والآخرة معاً، فالهندوسي قدّس البقرة لمنافعها الماديّة ولأجل ذلك حرم نفسه من الانتفاع بها فأيّ حرمان وشقاء هذا؟ وأيّ عقل يقبل بهذه التخاريف؟ انظر مدى انحطاط أهل الدنيا وشقاوتهم، ويأتيك جاهل ويضع هؤلاء الحمقى في كفة واحدة مع تارك الدنيا والراغب عنها المنشغل بالعبادة والطواف حول الكعبة، هل المسلم يقدس الكعبة لأجل حجارتها السوداء؟ أو يعبد الحجر الأسود ويصل إليه منه منافع ماديّة؟ ما أشبهها

بشبه الدواعش يرمون الشيعة بعبادة التربة الحسينيّة حين يسجدون عليها؟ ولم يفرّقوا ما بين التقدير والعبادة، إن المسلم يحترم ويقدر الكعبة لأنّها قبلته ويتوجّه بها إلى الله تعالى في صلاته وهي محل طوافه وندائه بلبيك اللهمّ لبيك إنّ الحمد والنعمة لك لا شريك لك، شعائر روحانيّة للتقرّب إلى الله تعالى خالية من لذّات الدنيا ومنافعها الزائلة.

الخطبة القاصعة

لأميرالمؤمنين كلام في غاية الروعة عن سبب اختيار الله أرض مكّة القاحلة لوضع الكعبة فيها، يقول الإمام: وكلّما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل، ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم عليه السلام إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً ثمّ وضعه بأوعر بقاع الأرج حجراً وأقل نتائق الدنيا مدراً وأضيق بطون الأودية قطراً، بين جبال خشنة ورمال دمثة وعيون وشلة وقرى منقطعة لا يزكو بها خفّ ولا حافر ولا ظلف، ثم أمر آدم وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه فصار مثابة لمنتجع أسفارهم وغاية لملتقى رحالهم تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة حتّى يهزوا مناكبهم ذللاً يهللون لله حوله ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء عظيماً وامتحاناً شديداً واختباراً مبيناً وتمحيصاً بليغاً جعله الله تعالى

سبباً لرحمته ووصلة إلى جنته، ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وأنهار وسهل وقرار جم الاشجار داني الثمار ملتف البنى متصل القرى بين برة سمراء وروضة خضراء وأرياف محدقة وعراس مغدقة وزروع ناضرة وطرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء ولو كان الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مضارعة الشك في الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفى معتلج الريب من الناس، ولكن الله سبحانه يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبّدهم بألوان المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم وإسكاناً للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله وأسباباً لعفوه[1].

التعايش السلمي بين أبناء الأديان

المؤمن المخدوع: (كان من بين الحضور من عاش في احدى الدول الاوروبيّة فتغيّرت أفكاره مع تغير هندامه) قاطعني قائلاً: إن تشرب فنجاناً من القهوة مع صديقك اليهودي وتذهبان معاً لزيارة جاركم الملحد وتلقيان تحية السلام على بائع بوذي هل سيغضب الرب لو فعلنا هذا!!!

---

(١) نهج البلاغة ص٤٠.

المؤمن: ان التعايش السلمي يدل على عقلانيّة المجتمع وممّا يحبّه الله سبحانه وتعالى أن يشيع بين بني البشر، فبالتعايش السلمي يحصل تبادل وجهات النظر ويتمّ طرح الأفكار بهدوء ومناقشة النظريات وتطورها بعقلانية، وهذه هي سيرة أهل البيت عليهم السلام مع أتباع الديانات والمذاهب المختلفة، فبيتُ الامام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام كان محطة لتوافد معتنقي مذاهب متنوعة وأديان مختلفة، ولم يرو ان عبس الإمام يوماً في وجوههم أو طردهم من منزله بل كان عليه السلام يتقبل كلّ كلامهم بكلّ رحابة صدر ويفنّد شبهاتهم ويرد على أوهامهم.

يُروى ان مفضل بن عمر أحد أصحاب الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام كان جالساً في الروضة (بين القبر والمنبر) وتصادف إذ أقبل رأس الالحاد آنذاك ابن أبي العوجاء وصار يروج عن الالحاد فلم يملك المفضل بن عمر نفسه واستشاط غضباً وغيظاً فصاح عليه: يا عدو الله ألحدت في دين الله وأنكرت الباري جلّ قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم وصوّرك في أتم صورة ونقلك في أحوالك حتى بلغ إلى حيث انتهيت، فلو تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك لوجدت دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة وشواهده جل وتقدس في خلقك واضحة وبراهينه لك لائحة، فقال: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلّمناك، فإن ثبتت لك حجة تبعناك وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا ولا بمثل دليلك تجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا وإنه

الحليم الرزين العاقل الرصين لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق يسمع كلامنا ويصغي إلينا ويتعرف حجتنا حتى إذا استفرغنا ما عندنا وظننّا أنّا قطعناه دحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه ردّاً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه[١].

والحوادث من ذلك كثيرة، وقصّة بكاء الإمام الحسين عليه السلام على قتلته لأنهم سوف يدخلون النار بقتلهم إيّاه ولكن حلمه أعظم من ذنبهم، فأمثال هذه البوادر المحيرة للألباب مستفيضة في سيرة أهل البيت عليهم السلام ولكني أرى شيئاً خطيراً تخفيه في كلامك، أتصور ان القصد من وراء ما قلته هو التمييع والتخنث حتى لا يتميز الأسود من الأبيض بل الجميع يكون بلون واحد، وبذلك يسهل استدراجهم إلى الكفر والإلحاد وينضمون تحت ألوية الأنظمة العلمانيّة بمختلف أشكالها، ولنا تجربة في العراق حينما سادت في الستّينات مظاهر التبرج وخروج الناس عن الالتزام الديني واختفى التشدّد المذهبي من الساحة، فحينما فرغوا عقولهم من الشعائر المذهبية وما يتميزون به عن الآخرين بدأت العلمانيّة بشقيها الشيوعيّة والبعثيّة باستقطاب الجماهير الشيعية ووصل المسخ مرحلة ان يحارب الشيعي العراقي أخاه الشيعي الايراني باسم البعثيّة الالحاديّة لثمان سنوات طوال كانوا وقوداً لحرب أشعلها الغرب بمساعدة دول الخليج السنيّة، ولم يكن يكتب لهم النجاح لولا انسلاخ الشيعي من هويته وما يميزه عن الآخرين

(١) كتاب التوحيد ص ١٠.

بشعارات الوطنيّة والتقدّم وانطلت الحيلة عليهم فقعد اخوتهم وشركاؤهم في الوطن من أهل السنّة خلف الخطوط وقدموا الشيعة كبش فداء سميناً لتأكله الحرب ولم يستيقظ ضميرهم إلى حين تركهم حامي البوابة الشرقيّة أهدافاً يتسلى بهم الأمريكان في عدوانه على الكويت، فعرفوا انهم لا قيمة لهم وليسوا ببشر في منظر سيف العرب حينها حصلت الانتفاضة والكل يعلم باقي القصة، على كلّ حال التعايش السلمي هو دعوة كل عاقل ولكن ان تمحى الخطوط الحمراء ولم يعد بالامكان مناقشة وكشف زيف ومهانة العقائد الباطلة أو يمنع من إيصال صوت الهداية والحق الى الآخر فهذا هو ما تنطوي عليه تلك الدعاوي الجميلة ظاهراً الخبيثة باطناً.

غسل الأدمغة في العصر الحديث

من طرق الخداع الذي يمارس حديثاً وانطلت الحيلة على الأغلبيّة في الغرب هو تصوير العقيدة القبيحة والعمل السافل بصورة عادية أوّلاً وانّه شيء طبيعي لا داعي للخوف منه، فان نجحوا في ادخاله ضمن الأُمور العادية ودمجه في مكونات المجتمع بأن يخرجوه من حالة النكران والشذوذ فقد نجحوا بالخطوة الأولى، أما الخطوة الثانية وتهدف الى جعله جميلاً في أعين الناس ويدعون الى الالتحاق به من خلال الاقتداء بالممثلين والمهرجين الذين جعلوهم قدوة للشباب ويعتبروه نوعاً من نمط الحياة، بل يضعوه في اعتبار عال بحيث يخيل الى الناس انه من خواص النخب والعباقرة فيسعى عوامّ الناس بكل جهدهم أن يقلدوهم

حتى يتلون المجتمع بلون واحد، فإن نجحوا بذلك تأتي الخطوة الأخيرة وهي القضاء على كلّ اشكال الحياة الطبيعيّة بل ينقلب الطبيعي والصحيح إلى الشاذ والمنكر، ويحاولون تدمير الطبيعي ومحوه من ساحة الوجـود بوضع القوانين التي تعاقب على معتنقيها، وأنت لو تفحصت مـا حـولك قليلاً لوجدت هذه الخطوات والبرامج وغسل الأدمغة تجري بقدم وساق عليك وأنت لا تعلم فهم ينفذون إلى بيتك من خلال البرامج الترفهية ومن خلال الكوميديا وكل ما يرتاح إليه المشاهد ولا يعمل عقله وفكره مـن خلال مشـاهدته فـيدسّون السـموم إلى عـقله حـيث الفكـر فـي حـالة الاستراحة ويريد أن يشاهد ما يضحكه ويسلّيه، فحينها تتخلّل الافكـار الهدّامة التي يريدون وضعها مع عدم شعور المخاطب، مـن ضـمن هـذه الافكار هو الالحاد والشذوذ الجنسي، فلو رجعنا لسنين قليلة الى الوراء نجد ان المجتمع الغـربي لا يـتقبل هـذين المـعتقدين بأيّ صـورة، بـل ويستقذر من الشاذ جنسياً ويعتبر الملحد شخصاً أحمقاً وغبيّاً فكيف لعب الاعلام من خلال أدواته الماكرة في هذه الأعوام حتى قلب رأي العوام ١٨٠ درجة، والغرب الآن يعيش ضمن الخطوة الثانية، امـا فـي الشـرق وعلى الأخص المسلمين فهم في طور المرحلة الأولى فان لم نـواجـهها بشدة بأن نجمع طاقتنا الفكريّة ونواجه الإلحاد بصورة علميّة ومنطقيّة وإلّا لا ضرو ان نفتح أعيننا يوماً والملحد جيراننا كما طرحه المؤمن المخدوع والتودد والانفتاح عليه يكون أمراً طبيعيّاً، ويتطلّب الأمر أحياناً استعمال العنف فيما يخصّ الشذوذ الجنسي، فالقرآن لا يتسامح مـطلقاً مـع هـذا

المنكر الخطير المدمر للإنسانيّة والمهمش للفطرة السليمة يجب أن ترتعد فرائص الشاذ جنسياً خوفاً في المجتمع المسلم ولا يمارس الفحشاء إلّا في السراديب المظلمة، ويكون الخوف على نفسه بحيث لا يستطيع إمساك دبره ويقضي حاجته على ناكحه خشية من اطلاع الناس عليه، فهذا الأمر لا تهاون فيه أبداً ليقولوا ما يشاؤون وأي تافهة تفوه بها لا تردعنا عن إدخال الرعب في قلوب هؤلاء المسوخ ولا ننسى أن نسكت عمّا يجري في الغرب، دع هذه الآفة الشاذة تنخر في هياكل أُسرهم حتى لا تدع وجوداً للاسرة الطبيعيّة وبذلك يقضون على أنفسهم بقطع التكاثر وانعدام حنان الأمومة وحرص وشفقة الأبوة بينهم، لندعهم يغوصون في البراز حد النخاع ونتراءى بالموافقة عليه هناك، اما فيما يخصنا وفي دولنا فلا تدع شاذّاً جنسياً يمر عليك إلّا وترميه بحجارة تكون منيته فيها[1].

الملحد الصغير: ماذا يفيد الله أن يكون ظاهر المجتمع ملتزماً بشكليات الدين وغير مقتنع بتطبيقها طوعاً.

المؤمن: أوّلاً بعض الظواهر السلبيّة وعلى رأسها الشذوذ الجنسي كالغدة السرطانيّة إن لم يتم ازالتها فوراً تستشري وتتكثر في جسم المجتمع الانساني وتقضي عليه.

ثانياً: ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو لأجل الآثم لتخلصه من تدمير نفسه فلولا حرص الشريعة ورحمتها الشاملة للآثمين لما تقدم المؤمنون خطوة واحدة لإنقاذ المذنبين وإلّا من يصدع رأسه ويتعب نفسه

(١) طبعاً هذا غير ممكن لأنّه يجب موافقة حاكم الشرع عليه أوّلاً.

ويقتحم مواطن الخطر والهلاك في سبيل أن يرفع أخاه الانسان النازل في ظلمات الحيوانيّة إلى مقام الانسانيّة، إلى مقام يزاحم الملائكة الصافين على نيل القُرب الالهي، فالراحة والسكون تأمر الانسان بترك البؤساء يلاقوا مصيرهم المحتوم في نيران جهنم.

الملحد الكبير: لا يحق لكم التدخل في أيّ شيء، انما للمرء الحق في الرذائل التي يمكن بلوغها مادامت لا تهدد حياة الغير.

الكريسميس في العراق

المؤمن: وهذا ما يحدث عند انتشار الالحاد تنتشر معه الرذائل وتعم الخسائس وهو مشهود في البلدان التي ضرتها موجة الالحاد من قبيل العراق، فأينما حل الالحاد حلت الرذيلة معه، ففي أعياد الكريسميس يخرج الآلاف من جلباب الدين ويحتفلون بالمنكرات، ومن المشاهد الجديدة في عامنا الجديد اجتماع المئات من الشباب في بغداد في جو صاخب تعلوه صيحات العربدة، تجمعوا حول طفل لعلّه لم يبلغ عامه العاشر وقد أعطوه قنينة الخمر طالبين منه وسط التصفيق والتشجيع أن يشربها، منظر مقزز أن يخدع الأب ابنه البريء الصغير، فالطفل المسكين يرى أباه كلّ شيء ويسلم كلّ وجوده وكيانه الى هذا الأب الملحد المجرم، ان الرذيلة توأم الالحاد يولدون سويا، فحينما يغيب الايمان والالتزام بالدين تنتشر الفحشاء بين الناس، هناك برنامج كوميدي امريكي يقدمه مهرج شهير في احدى حلقاته يسأل الناس عن الجنس

الثلاثي هل مارسوه في حياتهم ؟ أغلبيّة الأجوبة كانت بنعم، انظر مدى الانحطاط الذي وصلوا إليه ثمّ هل تتجرأ أن تدعي ان الالحاد واللاابالية لا علاقة لها بما يحدث في الغرب.

الملحد: منظمة الصحة العالميّة(١) ترفع عقيرتها بأعلى صوت وتقول ان المثلية ليست بمرض.

المؤمن: انها احدى أدوات غسيل الأدمغة التي يخدعون بها السذّج وإلّا فإنّ كثيراً من الأطباء يعترفون ان الشذوذ الجنسي فيه أخطار ومضارّ على الصحّة الجسدية والنفسية للانسان من قبيل الايدز، وعلى فكرة البعض من هؤلاء يتزوّج بامرأة وينجب منها أطفال لأجل التستّر على الفحشاء الذي يمارسه سراً وهذا يكشف مدى حيوانيّة واجرام الشاذّين

---

(١) ما أكثر أخطاء المنظمات الصحيّة، طالما أدّت هذه الأخطاء إلى فقدان الناس لحياتهم على سبيل المثال أن دواء Co - piotens كان يستخدم لعلاج ارتفاع ضغط الدم، وقد استعمل آلاف المرضى هذا الدواء وجعل ضمن روتين حياتهم وإذا يستيقظون يوماً على خبر أنّ هذا العلاج مُنع تداوله لاحتوائه على مادّة مسرطنة، وهذا يعني أنّ مئات الآلاف من المرضى تعرّضوا للشائبة المسرطنة على مدى سنوات معتمدين على أقوال الأطباء والمنظمات الصحيّة التي كانت تسوّق لهذا الدواء.

والمثال الآخر في حالة اختبارات سرطان المبيض فإنّ المستويات مرتفعة من بروتين CA125 الذي يُصنع في المبايض تعني من الناحية النظريّة وجود خلايا مبيضيّة اضافية أي بعبارة أخرى تعني وجود ورم ولكن في الواقع تبين أن الكثير من النساء اللاتي لديهن مستويات مرتفعة من بروتين CA125 لسن مصابات بسرطان المبيض، وعلى العكس فإنّ العديد من النساء المصابات بالسرطان ليس لديهن مستويات مرتفعة من بروتين CA125 ومن ثمّ لا يمكن الوثوق بقياس نسبة بروتين CA125 لإعطاء تشخيص دقيق للسرطان، وفوق ذلك فإنّ عدداً من النساء اللواتي كانت نتيجة اختبارهن ايجابيّة أصبحن يخشين كثيراً من احتمال الاصابة بالسرطان لدرجة اتّخاذهنّ قراراً باستئصال المبيض وهما بصحة جيدة. (هل الاختبارات الطبية ضارة ومظلة بقلم تشارلز شميدت).

جنسياً فهو ينقل مرض الايدز إلى امرأته المسكينة وينجب أطفالاً مصابين بالايدز، فاعرف حجم الكارثة التي تحل على البشر الأبرياء والأطفال المظلومين من أثر نزوة شاذة مدمرة لكل ما تمسه، ومن الأمراض الخطيرة الناتجة عن الشذوذ الجنسي توسع عضلة الشرج والإصابة بسلس الغائط ويؤدّي شللها إلى نزول المستقيم من الشرج وصعوبة عودته ثانية، ولهذا يستعملون الشواذ الفوطة الصحية لعدم السيطرة على المواد البرازية فهم دائمي التلوث بهذه المواد العفنة، ومن الأمراض الاصابة بالتهابات القناة البوليّة التناسليّة والتهاب فتحة الشرج والبواسير والثآليل التناسلية وسرطان الشرج والهربس التناسلي، والأخير مرض حاد جداً يتميز بتقرحات شديدة على مقدمة القضيب وعلى منطقة الشرج، وتظهر بثور كثيرة تلتهب من البكتريا المحيطة فيزداد المرض تعقيداً ويخرج من المريض سائل يشبه البلازما ثمّ صديد وربما يمتد الالتهاب الى الفخذ ومنطقة العانة بل اضرار الهربس لا تقف عند حد الاعضاء التناسلية بل ربما تصل إلى سائر أعضاء الجسم فقد تنتقل الى الجهاز العصبي وقد تنتقل الى الدماغ، فهو مرض تناسلي يصيب الأعضاء التناسليّة بآلام لا يعلم مداها وقوّتها إلّا الله، ومتى أصاب فيروس الهربس الانسان يبقى قابعاً فيه إلى نهاية عمره، لذا لا يمكن الشفاء من هذا الفيروس، وقائمة الأمراض والبلايا التي تصيب الشواذ كثيرة من القرحة

الرخوة ومرض الاميبيا وفيروس السايتوميجالك[١] (سيتوميجالو) والورم البلغمي وغيرها التي يصعب حصرها حتى صار الشذوذ الجنسي مستنقعاً للأمراض المعدية، وكل عاقل يحكم بضرورة تجفيف هذه البؤرة الممتلئة بالآثار المخربة للبيئة الانسانية السليمة[٢].

وقد توعد الإمام الصادق مرتكبي هذه الفاحشة بسهم غيبي لا يرى بالعين المجرّدة، ويعني بذلك الأمراض المخيفة التي تتجدّد يومياً في نادي الشواذ، فعن ميمون اللبان قال: كنت عند أبي عبدالله فقرئ عنده آيات هود فلمّا بلغ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[٣] فقال عليه السلام: من مات مصراً على اللواط لم يمت حتى يرميه الله بحجر من تلك الحجارة تكون فيه منيته ولا يراه أحد[٤].

وانك لو تمعنت في الأمراض التي ذكرنا بعضها يدعي أهل الاختصاص ان المصاب بها لا يعلم بحدوثها في بداية الأمر ولعلها تستمر معه لسنوات وإن لم يغير نمط حياته الشاذة ويرجع الى الحياة الطبيعيّة استفحلت وقضت عليه. هذا هو الإلحاد يأتي بنكهة البراز.

---

(١) الذي يؤدّي الى الوفاة فإنه يسبب تضخماً في الخلايا مما يجعل شكلها مميزاً وينمو الفيروس ويتكاثر بشكل بطيء في الخلية مشكلاً انتفاخاً ويظهر على هيئة أجسام في نواة الخلية المريضة.

(٢) وردت قائمة الأمراض في كلّ من موقع (الطبي) وموقع الباحثون المسلمون وغيرها من المواقع الباحثة عن الحقيقة.

(٣) سورة هود (١١): ٨٢ ـ ٨٣.

(٤) الكافي ج٥ ص٣٩٦.

عم الجو التقزز والاشمئزاز من الشذوذ وكرهوا الإلحاد لأنّه يدافع عن الشاذين جنسياً، والملحد وقع في احراج شديد يعصر أصابعه من القلق لا يدري ما المخرج من هذا النفق الكريه.

حوار المسيحي مع الملحد

توقفنا عن الحوار برهة وأمرتُ الخادم أن يأتينا بالشاي والمعجنات حتّى نغير الجو قليلاً وننسى سفالة الشواذ، ولكن هيهات كان الجميع انسدت شهيتهم وما رغب أحد في تناول شيء ما... بعد دقائق من السكوت الغريب انبرى أحد الحضور وكان شيخاً مسيحياً كبيراً في العمر وأراد أن يعيدنا للحوار ويكسر هذا الصمت المزعج فقال:

لنرجع إلى مسألة (الحريّة) وكيفيّة ارتباطها بالمؤسّسة التعليميّة يعني في ضوء الحريّة المطلقة التي ننشدها كيف يكون عمل المؤسّسات التعليميّة، وماذا عليهم أن يعلموا الأطفال وعلى ماذا تنشأ الأجيال؟

الأخلاق الإلحادية

فبرق في عين الملحد ضوء الثأر وأراد أن يعيد مجده المندثر فصاح: تعاليم الأديان لا عقلانيّة فهناك من المتوهمين والهاذين من يرون فيها الحقيقة كلّها، وعلى كلّ حال فلا اشكال مادام هذا الهذيان لا يضرّ أحداً، ولكن تتعقد الأُمور فيما يحاول بعضهم فرض معتقداته وأخلاقه وطريقه في العيش على المواطنين، كلّ هؤلاء الرجال الذين يرتدون

اللباس الكهنوتي أو الذين لا يرتدون وكلّ النساء المتحجبات وغير المتحجبات معلمو التوراة والانجيل، كلّ هؤلاء فيروسات تعفن الجسم الاجتماعي وتنشر العدوى بين الذين يعاشرونهم وتعبئهم بأفكار سرعان ما تسقطهم في استلاب لماذا تمنع دراسة الداروينيّة في بعض الجامعات الامريكيّة؟ أصبتم عقول كثير من الناس بالشلل، فالنساء يتردّدن في الاجهاض أو مراهقون يشعرون بالإثم حينما يتمتعون ويشبعون رغباتهم الجنسيّة عن طريق الاستمناء؟ لماذا تضبطوا حياة أولادكم؟ أنتم المتدينون تفرضون احترام التعاليم الأخلاقيّة حتّى في المستشفيات حيث يمنعون القطع الارادي للحمل، نصبتم المساعدات الاجتماعيات وأطباء النفس الذين يحثون الشابات الحوامل على الابتهاج بالامومة والتفتح من خلالها، وتعليم هذه الديانات هو الذي يطرح اشكالاً بطبيعة الحال فهذه الديانات أساطير وتترك الصغار في جهل، فالمدرسة هي المسؤولة في المقام الأوّل عن هذا الخواء، فالتعليم الديني يتعارض مع المبادئ العلمانيّة.

بدا عدم الارتياح واضحاً على سيماء الشيخ والتفت غاضباً إلى **الملحد:** هذه ديكتاتوريّة وليست علمانيّة التي تروجون لها أنتم، خدعتمونا حين كنتم ضعفاء وأقليّة فادّعيتم بكلام معسول ان العلمانيّة هي الحل وبواسطتها سوف لا يكون هناك مجال الحروب البابوية وينتهي التعصّب الديني ويحل محله السماح والسلام اللاديني وبإمكان الجميع أن يمارس ما يشاء من عبادة وبعد أن تنازلنا عن سلطتنا القهارة.

الملحد: بل تم جركم من كرسي الرئاسة بالقوة والإكراه.

الشيخ المسيحي: على كلّ حال حينما اعتليتم العرش لم ننفك نرى الحروب والدمار افتعلتم الحربين العالميّين وراح ضحيتها الملايين من البشر أثر نزاعات إلحادية قوميّة، ومن ثمّ صدرتم الحروب في أماكن اخرى من العالم في افريقيا وغيرها، والآن وقد صفا لكم الجو وتحكمون مرتاحي البال، كشّرتم عن انيابكم وتعتزمون محو ما تبقى من الأخلاق المسيحيِة الرحيمة في اوروبا تريدونها حرباً شعواء على المحبّة قد أعطيتم للمرأة امتيازات خياليّة حتى جعلتم الرجل يتوجل ويخشى من الزواج، وبسنّ قوانين غريبة فرّ شبابنا من تكوين الأسرة ورضوا بالعلاقات العابرة، واني أرى بعد سنوات يفوق عدد المهاجرين إلينا من افريقيا وآسيا على عدد السكان الأصليين في اوروبا ولم تكتفوا بسنّ القوانين التي تنفرّ الشباب من الزواج حتى قررتم أن تضربوا الضربة القاضية للأسرة بتشريعكم قانون زواج الشواذ جنسياً، وبذلك ينقطع النسل تماماً وابتكرتم الانجاب الصناعي ويعطى الأولاد لغير آبائهم الفسيولوجيّين، بل يكون دور المرأة مجرد وعاء يحمل لشهور عدّة طفلاً لقح صناعياً في رحمها وهي تتقبل الحمل لأجل حفنة من المال ثم عند الولادة تبيعه إلى شخص آخر لا يعلم هل هو مجرم أو شاذ جنسياً، والرب يعلم ما يحدث لهذا الطفل المسكين وهو محروم من حنان الأم وحب الأب، فقد قتلتم غريزة الأمومة والأبوة باختراعكم التبني الصناعي بين الغرباء، سوف تفنى اوروبا قريباً بيد جيش من الآليّين الذين

صنعتموهم في مصانع الانجاب الآلي، آه فقد ظهر الدجال.

المؤمن: الأوربيون متطرفون في كلّ شيء، فحينما كانت المسيحية هي الحاكمة كان المشهد السائد هو ظلم المرأة حتى كانت العادة في بريطانيا أنّ من أراد طلاق امرأته باعها في السوق، ولمّا وصل الملحدون للحكم ترى عدم العدالة شاملاً لكلّ شيء، من جعل المرأة دمية جنسية وتكونت عند الرجل فكرة ان المرأة سلعة جنسية يقضي شهوته منها فيذهب إلى الاخرى والغياب التام للهوية والمبادئ... في هذه اللحظة قامت امرأة كانت جالسة قرب الملحد الفرنسي وقالت:

يجب منع الدين من الانتشار وتركه في غرفة المقدّسات، فالديانات ستتعامل مع المؤمنين كأنّهم معتوهون أو الذين تجعل منهم سذجاً بتعبئة عقولهم بالخبل وتجعلهم يعانون من الوساوس ويعرضهم للجنون هلوسات سمعية وبصرية واضطرابات هستيرية ورؤى هاذية، إن الديانات تكره الحياة الجنسية والنساء والمتعة تكره الجسم والرغبات والغرائز وتدافع عن ملاك العفاف والاخلاص للزوج الواحد وعن الزوجة والأم والروح والنفس، وهذه الامور الحياة.

المؤمن: لماذا الالحاد قرين للاباحية؟ أتصوّر ان الشهوانية بمعنى الاباحية المطلقة وعدم تنظيم الحياة الجنسية أو فقدان التصنيف الجنسي ما هو مباح وما هو حرام وانعدام الكبت الجنسي ولو بصورة جزئيّة سوف يولد الشهوانية وأثرها النفسي أن تجعل الانسان لا أباليّاً، فلا يولي أدنى اهتمام بأفعاله الجنسيّة وتمحى الخطوط الحمراء، فكلّ شيء يكون جائز،

وفي الشرق الأوسط وعلى الأخص الرجل العربي وان تنكر للشريعة وانفلت في عالمه الجنسي ولكن لا يرضى ان يجر محارمه معه إلى هذا المستنقع، والآن يعملون على كسر هذا الحاجز بتشجيع الاختلاط وادخال النساء في النشاطات الرجاليّة، والغرض من ذلك هو كسر ذلك المانع النفسي الذي يأبى أن يرى الجميع محارمه فبدأوا بإدخالهن للنوادي الرياضيّة بحجة حب الرياضة والمقاهي والنوادي وغير ذلك من النشاطات التي في النظرة الأوليّة تراها لا بأس بها ولكنهم يهدفون من وراء ذلك أن يحطم الرجل العربي الطوطم المحرم في نفسه بإظهار زوجته وأخته واخراجها من دائرة الحياء وتختلط مع الغرباء، وتنفتح عليهم بكلّ حريّة ليس على أساس علمي أو جلسة تجاريّة التي يبقى التفاعل فيها عقليّاً وله حدود معينة ولكن الذي يحصل خارج المنظومة العقليّة[١] هو الفرح والمرح وتتلاشى العقلانية في دائرة الانبساط النفسي التي يلجأ إليها الانسان للترويح عن نفسه، وتسقط كلّ حواجز الحياء والمنعة ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك فالأصدقاء توجد بينهم مودة وحالة خاصة، فالأفعال والمزاح الذي يحدث بينهم لا يحدث مع الغريب عنهم، فالانسان له منعة واحتشام مع الغرباء ولكن ما إن تتآلف مع الغريب ويصبح صديقها تتغير نوعيّة المعاملة فيما بينهما، والمرأة بتكوينها الفطري تتحاشى التعامل مع الرجل وتفضل التعامل مع جنسها على الجنس الغريب، ويزداد حجم الحياء والاحتشام اضعافاً مضاعفة بواسطة التربية التي تتلقاها من

---

(١) التي يبذل العقل فيها الجهد للوصول الى المحصول.

أبويها، والثقافة التي تنشأ عليها في البيت أوّلاً والمدرسة والمجتمع ثانية، فنوع الملابس التي تلبسها في صغرها وزمن مراهقتها والحدود التي يصنعونها في ارتباطها مع الذكور هي التي تصقل شخصيتها إلى آخر عمرها، فالغرب والملحدون خطتهم تهدف إلى تغيير الثقافة وتغيير التربية التي ينشأ عليها الأطفال برفع الحواجز بين البنت والولد منذ صغرهما وأن تلبس ملابس فاضحة أو على الأقل لا تتشدّد في التستّر، والأخطر من ذلك يريدون دفن الحياء في البنت وان الصداقة ولمس الولد الذكر لك شيء جيد ويدل على مقبوليتك وإلّا فانت وحشية يجب أن تعالجي نفسك عند الطبيب النفسي، هذا ما يجري في الغرب منذ نعومة الأظفار ويعلموهم عدم التفرقة بين الولد والبنت حتى في الألعاب يسعون أن يلعبوا بألعاب موحدة حتى لا يشعرون بوجود أي فارق ما بين البنت والولد، والغاية من ذلك هو جعل المجتمع كله بلون واحد وهم لا يعلمون ان ذلك يقلب المجتمع إلى ذكوري بحت وتنعدم فيه صفات الأنوثيّة، فهم من حيث لا يشعرون يقضون على الأنوثة ويسود في المجتمع عنصر واحد وهو الذكر بكل صفاته ومميزاته، فالمرأة هناك تلبس وتأكل وتفكر وتعمل كالذكر وكلّما تشبهت به أكثر ترتقي أكثر في السلّم الاقتصادي والاجتماعي، وهذا المخطط يريدون أجرءه في الشرق الأوسط لمآرب اقتصاديّة قصيرة المدى واجتماعيّة وثقافيّة طويلة المدى، فقالوا في البداية نحتاج أن تخرج من بيتها وتبدأ بالتعامل العاطفي مع الذكور لتلقي شيئاً فشيئاً جلباب الحياء، أفضل طريقة هي أن ندعوها إلى مزاحمة

الرجال حين يمرحون ويفرحون حين التسلية فهناك تسقط المنعة والعفة لأن الفعل والانفعال جسدي وليس عقلي كما في التجمّعات الجامعية أو الروحية كما في الشعائر الدينيّة، بل هنالك يريد الانسان إفراغ شحنات التوتر والارهاق بواسطة التسلية والمزاح، وحدوث هذا الانفعال بين الجنسين يوجب الأُنس مع الغرباء ويسقط الحجاب بالتدريج ويقل التدين لأنّ الدين يأمر بالحجاب الباطني الروحي والظاهري بين الرجل والمرأة.

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً ﴾(١)

فالدين يريد للمرأة أن تبني في نفسها حجاباً يمنع دخول الغرباء إلى قلبها ومن الضروري ان الضحك والجلوس مع الذكور والتكلّم بكلام مثير للانبساط والعاطفة يهتك هذا الحجاب، ولسنا بحاجة إلى اقامة دليل عقلي على ما ندّعيه، فكل امرئ على نفسه بصيرة يرى ما يحدث في نفسه في جلساته الحميمة مع أصدقائه ألا يدخل الحب إلى قلبه من أثر كلامهم، يستأنس بمزاحهم فما بالك لو جرى هذا ما بين الأنثى والذكر، فالحب هنا يتعدى الى دائرة التقرب الجنسي أحياناً فلا نخدع أنفسنا وندّعي غير ذلك، لهذا يستنكف شباب الغرب من الزواج فهو يحرمهم من هذه السهرات الممتعة التي تنتهي إلى الجنس في كثير من الأحيان ولو كان متزوجاً أو كانت متزوجة فإنّها تجعل قلوبهم عالقة في محبة المقابل، وهنا يأتي دور القانون الصارم الذي يسلب نصف ثروتهم لو علم أحد الشريكين بما وقع على شريكه من جراء هذه السهرات، فلهذا يكثر في

(١) سورة الأحزاب (٣٣): ٣٢.

الغرب الزنا وهجران أحد الوالدين فجأة ومن دون سابق انذار لعائلته، فهو يحن إلى هذه الجلسات الجميلة وكبر عليها وتربّى على حبها... إلى هنا وقد بدت آثار الارهاق واضحة على الجميع ومن ضمنهم انـا أيـضاً قـد تعبت، وفجأة جاء أخي من الطابق الفوقاني للمكتبة وأخبرني انه خارج إلى حرم المولى أميرالمؤمنين لأداء صلاة الفجر فاندهشت كـيف انـتهى الليل بسرعة ولم نشعر بالوقت.

المحتويات